ملامح الخطاب الإصلاحي عند النورسي (١٨٧٦-١٩٦٠)
"دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر"

د. ريهام أبوالمعاطي

مدرس بقسم الفلسفة

كلية الآداب، جامعة بورسعيد

rehammaaty@gmail.com

doi: 10.21608/jfpsu.2023.233180.1299

ملامح الخطاب الإصلاحي عند النورسي (١٨٧٦-١٩٦٠)

"دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر"

مستخلص

على مر التاريخ نجد العديد من النماذج من المفكرين الذين حاولوا إصلاح مجتمعاتهم ، شهدت بدايات القرن العشرين ظهور " بديع الزمان سعيد النورسي " أبرز علماء الإصلاح الديني ، والذى حاول وضع منهج إصلاحي يتماشى مع ما وصل إليه المجتمع ، فقد عاصر أولاً الدولة العثمانية ذات الخلافة الإسلامية ، ثم عاصر جمعية الاتحاد والترقي ، التي استولت على الحكم في تركيا و عملت على إنهاء الخلافة الإسلامية ، وقد أخذ على عاتقه إنقاذ الإيمان ، وتقويه ارتباط أبناء وطنه بالقرآن الكريم ، وذلك من خلال رسائل النور

وفى إطار ذلك يأتي البحث متضمناً العناصر التالية:

أولاً: وفيه عرضنا أهم الظروف السياسية التي أثرت في سعيد النورسي.

ثانياً: طرحنا فيه تساؤل عن منهجه الإصلاحي في رسائل النور ومدى اتفاقه وتشابه مع بعض معاصريه.

ثالثاً: عرضت أهم النقاط التي ركز عليها النورسي في سبيل إصلاح المجتمع.

الخاتمة

الكلمات المفتاحية: النورسي، انتهاء الخلافة، رسائل النور.

Features of Nursî's Reformist Discourse (1876-1960): A Study in Contemporary Islamic Thought"

Dr. Reham Abu Al-Maati
Lecturer of Philosophy
Faculty of Arts, Port Said University

Abstract

Throughout history, many examples of thinkers, who attempt to reform their societies, are found. For instance, the beginning of the twentieth century witnessed the emergence of Bediuzzaman Said Nursî, the most prominent scholar of religious reform, who tried to develop a reform approach in line with what society had reached. He first lived with the Ottoman Empire with its Islamic caliphate. Then he was a contemporary of the Society of Union and Progress, which seized power in Turkey and worked to end the Islamic Caliphate. He took it upon himself to save the faith and strengthen the connection of his countrymen to the Holy Qur'an, through Risale-i Nur.

Within this framework, the research includes the following elements:
First: We present the most important political circumstances that affected Said Nursî.
Second: We raised a question about his reformist approach in Risale-i Nur. and the extent of his agreement and resemblance with some of his contemporaries.
Third: We presented the most important points that Nursî focused on in order to reform society.
Conclusion

Keywords: Nursî, caliphate end, Risale-i Nur.

تمهيد

لا يعيش المفكر بمعزل عن المجتمع، بل إن المجتمع بظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية يكون بمثابة المثير ، والمفكر يكون الاستجابة، ويكون أكثر دراية بعيوب المجتمع ، ويأخذ على عاتقه محاوله إصلاحه.

وعلى مر التاريخ نجد العديد من النماذج من المفكرين الذين حاولوا إصلاح مجتمعاتهم ، فعلى سبيل المثال رفاعه الطهطاوي (١٨٠١م- ١٨٧٣م) وجد أن النهوض بالمجتمع المصري لن يكون إلا بالاهتمام بالتعليم ، و محمد عبده (١٨٤٩م- ١٩٠٥م) المصلح الديني الذى حاول إصلاح فساد الأخلاق والانحراف عن حدود الشريعة الذى تفشي في عصره؛ فقدم مشروع إصلاح الأزهر ؛ لأنه رأى أن نهضه الأمه لابد أن تؤسس على نهضة الدين التي لن تتم إلا بإصلاح معاهد الدين ، و قاسم أمين (١٨٦٣م-١٩٠٨م) الذى وجد أن إصلاح المجتمع المصري لن يتم ونصفه معطل ؛ قاصدًا بذلك المرأة ؛ ومن ثم دعا إلى ضرورة تعليم المرأة ، ونزولها إلى ميدان العمل ، وكما كان لمحمد عبده دورٌ في تجديد الفكر الفلسفي الإسلامي ؛ كي تواكب الأمه عصر التنوير كذلك محمد إقبال[1] (١٨٧٧م-١٩٣٨م) الذى حاول إصلاح المجتمع عن طريق بناء فلسفة دينية إسلامية ، في ظل ركود التفكير الديني في الإسلام خلال القرون الخمسة

---

(١) هو أحد أولئك الرجال القلائل الذين بعثوا النور في سماء الشرق ..ولد في مدينه سيالكوت إحدى مدن البنجاب بباكستان في الثالث من ذي القعدة سنه ١٢٩٤ للهجرة ، الموافق للتاسع من نوفمبر سنه ١٨٧٧ م...ينقسم الإنتاج الأدبي لإقبال إلى أربع مراحل ، أهمها المرحلة الثالثة من عام ١٣٢٦ هـ/١٩٠٨م ، إلى عام ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م ، وهى الفترة التي شهدت إنهاء حركة الخلافة ، وحوادث أخرى غيرت كثير من معالم البلاد الإسلامية ، وظهور حزب الرابطة الإسلامية، مطالبًا بالحفاظ على حقوق المسلمين بالهند . ومن هنا تعكس أشعار إقبال أحداث ما قبل الحرب العالمية والخلافة الإسلامية ، ثم حركة إحياء جديدة رفعها عالية امام شباب المسلمين ، أخذ إقبال يحذر الشباب من فتنه الحضارة الغربية ، ويوضح لهم دور الإسلام في الثورة الإنسانية العالمية .....الفترة الأخيرة وتمتد من عام ١٣٤٨ هـ /١٩٢٩ م إلى عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨ م ، وفيها تضمنت أشعاره أفكارًا جديدة ؛ فقد تحدث عن السياسات العالمية ، وعن التفرقة في السياسة الغربية ، وهاجم سياسه اللادينية، ونقد النظم الرأسمالية والشيوعية ، وأوضح أن الإسلام هو النظام الوحيد الذى يضمن نجاة العالم . انظر ، سمير عبد الحميد إبراهيم : إقبال والعرب، مكتبه دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ، ص ٩-١٦.

في أواخر الأعوام العشرين الأولى من القرن العشرين ماجت شبه القاره الهندية الإسلامية بتيارين فكريين متلاطمين ، وكانت غايه التيار الأول أن يأخذ المسلمون بحضارة الغرب في مظاهرها العلمية والروحية والسياسية ، مسايرةً منهم لمن ينطلقون في سبيلهم قدمًا ، أما التيار الثاني فكان يخالف الغرب ، داعيًا المسلمين إلى الاعتصام بدينهم وحده لعلهم يفلحون ، فإن فيه غنى لهم عن كل ما قد يرد عليهم من أباطيل الغرب ،وفى هذا المعترك الفكري الروحي قضى حياته ، ١٣- سيد عبد الماجد الغوري : محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٠ م ، ص ١٣٤ .

الأخيرة ؛ لذا فقد ركز في إصلاحه على بناء الشخصية الإنسانية على نمط مؤمن حي .

وشهدت بدايات القرن العشرين ظهور " بديع الزمان سعيد النورسي " أبرز علماء الإصلاح الديني ، والذى حاول وضع منهج إصلاحي يتماشى مع ما وصل إليه المجتمع ، فقد عاصر أولاً الدولة العثمانية ذات الخلافة الإسلامية ، ثم عاصر جمعية الاتحاد والترقي ، التي استولت على الحكم في تركيا و عملت على إنهاء الخلافة الإسلامية ، وإقامه دولة علمانية ، خاصةً في عهد أتاتورك الذى بلغ حصارُ الإسلامِ ومحاربتُه ذروتَه ؛ ومن ثم فقد أخذ على عاتقه إنقاذ الإيمان ، وتقويه ارتباط أبناء وطنه بالقرآن الكريم ، وذلك من خلال رسائل النور ؛ لإصلاح المجتمع التركي بعد انتهاء الخلافة الإسلامية .

إشكالية الدراسة:

لم تكن المشكلات التي عاشها المجتمع التركي والتي شغلت فكر النورسي تمثل ماضياً سحيقاً ولىَ وفات، ولكنها تطل علي مجتمعاتنا العربية والإسلامية بين الحين والأخر، وربما زاد من تأثيرها الانفتاح الثقافي والحضاري الناتج عن وسائل التواصل الاجتماعي، التي أصبحت بمثابة المصدر الأول لكل صور الانحلال الخلفي والاجتماعي . وتظهر المفارقة التي نعيشها الآن في عصرنا الحالي حين نري دعوات الانحلال تجد من قيمة الحرية وأفكار العلمانية والتحضر داعماً لها، بينما يظهر كل التزام ديني كشكل من أشكال التزمت والتعصب، بل التأخر والرجعية .ومن هنا تتشابه الظروف التي نعيشها في مجتمعنا الآن الظروف التي عاشها النورسي، وعاشها المجتمع التركي إثر سقوط الخلافة الإسلامية وبداية انتشار الفكر العلماني، ولذلك وجدنا في أفكار النورسي ما يلائم احتياجات مجتمعنا الآن ، لذا حاولنا من خلال هذا البحث تسليط الضوء علي أفكاره الإصلاحية لعلها تكون نبراساً ومرشداً تهتدي به الأجيال الحالية .لذلك كان السؤال الرئيس الذي يطرحه البحث "كيف حاول النورسي التوفيق بين الفكر الإسلامي، وبين الدعوات العلمانية؟ أو ما هو منهج النورسي في التوفيق بين الإسلام والعلمانية؟

تساؤلات الدراسة:

وللإجابة عن هذا السؤال طرحنا تساؤلات فرعية على أساسها تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: وفيه حاولنا الإجابة عن السؤال الخاص بأهم الظروف السياسية التي أثرت في سعيد النورسي، والتي كانت السبب الرئيسي في اعتزاله العمل السياسي وتوجهه إلى كتابه رسائل النور التي تضمنت فكره الإصلاحي .**المبحث الثاني:** طرحنا فيه تساؤل عن منهجه الإصلاحي في رسائل النور ومدى اتفاقه وتشابه مع بعض معاصريه خاصه محمد عبده ومحمد إقبال .

المبحث الثالث: فكان السؤال الذي حاول الإجابة عليه اهم النقاط التي ركز عليها النورسي في سبيل إصلاح المجتمع.

وفي **الخاتمة** أبرزنا محاولات التوفيق التي قام بها النورسي للتوفيق بين الفكر الإسلامي والعلمانية رغم معارضته للعلمانية الظاهرة في كل مؤلفاته

الدراسات السابقة:

١- سوجيات زبيدي صالح : قضايا المرأة في القرآن عند بديع الزمان سعيد النورسي " بحث علمي " ٢٠١٦ ، لخصت الباحثة قضايا المرأة عند النورسي ومن هذه القضايا رساله الحجاب ، تعدد الزوجات ، إنجاب النسل.

٢- إحسان قاسم الصالحي : سعيد النورسي عملاق الفكر الديني في العصر الحديث (٢٠١١) ويضم مجموعة من المقالات التي نشرت في أعداد مختلفة من مجله " حراء " التركية لعدد من الأساتذة والمفكرين المعنيين بقضايا الدين والإيمان ، وتتناول أفكار النورسي من جوانب مختلفة .

٣- أبو بكر كوليبالى : العلامة بديع الزمان سعيد النورسي نموذج يقتدى في إصلاح الفرد والمجتمع ، بحث منشور في مجله المنبر(٢٠٠٩) ، وعرض هذا البحث بعض آراء النورسي في موضوعات مهمة ، مثل الأخذ بالثأر، ومسألة التكفير وقضية اليأس وموقفه من الشورى ، وموقفه من السياسة ، والعديد من الآراء الأخرى .

٤- محمد السيد عبد الحليم: أثر بديع الزمان سعيد النورسي فى إحياء الاتجاه الإسلامى المعاصر فى تركيا (١٩٩٨م).

ومن الملاحظ في هذه الدراسات انها ركزت علي عنصر واحد فقط من عناصر

الإصلاح عند النورسي ، أو نظرت إلية باعتباره مفكراً دينياً ، أو مصلحاً اجتماعياً ، ولكننا من خلال هذا البحث سنحاول التركيز علي محاولته التوفيقية ، وهل بالفعل كانت محاولات أصيلة ، وهل استطاع بالفعل ان يحقق هذه النظرة الوسطية؟

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة في هذه الدراسة أكثر من منهج، بداية من المنهج التاريخي ؛ لاستقراء الأحداث التاريخية والثقافية التي كانت في تركيا في تلك الفترة ، والتي كان منهج النورسي الإصلاحي رد فعل لها ، و المنهج التحليلي لتحليل منهجه وأهم نقاطه الإصلاحية كما وردت في رسائل النور ، كما استخدمت أيضاً المنهج المقارن ؛ لمقارنة آرائه مع بعض المفكرين المعاصرين له ، والذين اعتمدوا على الإسلام وكتابة وتعاليمه ؛لإصلاح مجتمعاتهم بعد تدهور أوضاعها لأسباب مختلفة ترجع كلها إلى تدخل الغرب في حياه المسلمين بصوره مختلفة .

أولاً: نشأته والظروف التاريخية

وُلد النورسي عام ١٨٧٣م في قرية صغيرة تسمى حضانة في مدينة "بلتيس" الواقعة في جنوب شرق الأناضول. نشأ وترعرع وتلقى تعليمه حول المناطق التي تعتبر أطرافًا للإمبراطورية العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في أواخر عمر الدولة العثمانية.

ورغم أن أسرته كانت تعمل بالفلاحة ، إلا إنها كانت تهتم بالعلم ، وكان والده يستضيف العديد من مجالس العلم التي كان يحضرها النورسي الذي أتقن العديد من العلوم كاللغة العربية –التي كان يجيدها تحدثًا وقراءة ، دون الكتابة –والفلسفة وأصول الفقه والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم، كان يتمتع بطبيعة مستقلة، ووجد نفسه يتعرض للتحدي والاستجواب من قبل كبار العلماء في عصره ؛ ولذا لقب " ببديع الزمان " لإتقانه العديد من العلوم وذكائه الخارق ، فقد كانت حياته حافلة بالعلم تعلماً وتعليماً وتأليفاً.

عاش واحدة من أهم الفترات في التاريخ الحديث، فقد شاهد وشارك في الأحداث الرئيسة التي أثرت على العالم، كالحرب العالمية الأولى والثانية ، وانهيار الإمبراطورية العثمانية وبداية ظهور جمهورية تركيا العلمانية ، والاستعمار المستمر للأراضي الإسلامية، وتقسيم العالم الإسلامي بعد حصوله على الاستقلال من خلال الأيديولوجيات القومية، وظهور الأيديولوجيات الرئيسة مثل الشيوعية. والرأسمالية والحركات الكبرى ، مثل الإلحاد والمادية والفوضوية. وإجمالاً تم إعادة تشكيل الكرة الأرضية بأكملها خلال السنوات التي غطت فترة حياة النورسي [١].

ولكن أكثر هذه الأحداث تأثيراً علي النورسي كانت عندما انهارت الدولة العثمانية وتكالب الأعداء عليها ، فقد انتقلت تركيا من كونها دولة إسلامية قائمة على نظام الخلافة إلى دولة علمانية[*] ؛ لذا نجده عمل بالحياة السياسية وهو بالعشرين من عمره بداية من

---

(1) Markham, Ian S., and Suendam Birinci Pirim. An Introduction to Said Nursi: Life, Thought, and Writings. Routledge, 2016,p3

(*) وتقوم العلمانية الأوربية علي عشرة مبادئ: *البحث الحر ،، ويعني الحق في الاختلاف ، ليس فقط في العلم والحياة اليومية ، بل في السياسة والاقتصاد والأخلاق والدين .* فصل الكنيسة عن الدولة ، لتأسيس مجتمع ديمقراطي مفتوح ، تمتنع فيه السلطة الدينية عن التشريع الأخلاقي ، والسياسي والتربوي والاجتماعي.* مثال الحرية لا يعني فقط التحرر من القبضة الدينية ، وإنما أيضاً من القبضة الحكومية .* العقل بمعني الالتزام بالمنهج العقلاني في البحث عن الحقيقة ، والانفتاح علي أي تغيير للمبادئ برمتها .* التربية الأخلاقية تستلزم عدم ادعاء ملة ما أنها قابضة علي

دعوته لتشكيل جمعيه " الاتحاد المحمدي " لكى يواجه جمعيه الاتحاد والترقي ومواجهه الماسونية ، ومشاركته في العصيان المدني بين أفراد الجيش الذى انتهى بعزل السلطان عبد الحميد ، وقائدا للقوات الفدائية ، كما كان من ضمن المدافعين عن الوطن في الحرب العالمية الأولى التي أصيب فيها ، وتم أُسره سنتين وأربعة شهور ، إلى أن تمكن من الهرب، وتوالت محولاته في دفاعه عن الوطن ولكن هذه المرة ضد الإلحاد والزندقة الذى تفشي في تركيا عقب سقوط الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية .

فبعد إلغاء الخلافة قام مصطفى كمال أتاتورك " بمصادرة أملاك الأوقاف ومنع قراءه القرآن باللغة العربية التي كان يكرهها جداً، حيث بدل حروف الكتابة العربية إلى الكتابة اللاتينية ، وأعلن اللادينية ، ومنع النشاط الإسلامي كله ، وحول الآذان الشرعي إلى الآذان باللغة التركية ، ومساجد كثيرة إلى مخازن ومتاحف ، وخطط للقضاء على الإسلام نهائيا في تركيا ، وفى سبيل ذلك فقد فتك بمعارضيه ، وقبض على الحكم بيد من حديد ، وقاد علماء الإسلام ودعاته إلى المشانق والسجون " [١].

وقد واجه بسبب ذلك النفي إلى بارلا سنه ١٩٢٦ وقضى فيها ثماني سنوات ونصف ، تبلورت فيها أفكاره الإصلاحية في "رسائل النور" وسنه ١٩٣٥ تمت محاكمته وكانت التهم الموجهة إليه هي:

١-تأليف جمعية سرية.

٢-العمل على هدم الثورة الكمالية.

٣-تشكيل طريقه صوفيه

٤-اثاره روح التدين بنشر رسالة(التستر للنساء) .

وقد وضع في سجن انفرادي ، وضيقوا عليه الخناق بأساليب كثيره بهدف التأثير في روحه المعنوية ، ولكنه استمر في تأليف رسائل النور [٢].

القيم الحقيقية حتي يتم توفير الاختيار الحر ، ومن المرفوض فرض عقيدة معينة علي الشباب قبل أن يكونوا قادرين علي ابداء الموافقة .* الأخلاق أساسها العقل الناقد ، ومستقلة عن الدين ، ومناقضة للأخلاق المطلقة .* الشك فيما هو فائق للطبيعة ، وفي الرؤية التقليدية لله والألوهية ، ورفض التفسير الحرفي للنص الديني ، والإقرار بأن الكون محكوم بقوي طبيعية نفهمها بالبحث العلمي ....*التعليم هو المنهج الأساسي لبناء المجتمعات الإنسانية الحرة والديمقراطية ، ومن غاياته تنمية العقل الناقد في كل من الفرد والجماعة . مراد وهبة : الأصولية والعلمانية في الشرق الأوسط ، مقال بمجلة المنار ، العدد٤٩ ، ص ص ٨٤:٩٧ ، القاهرة ، يناير ، ١٩٨٩م .

(١ .)محسن عبد الحميد : النورسي متكلم العصر الحديث ، بغداد ، ١٩٩٤ م ، ص ٦٧

(٢) على القاضي : ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي ، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الاولى ، ٢٠٠١ م ، ص ١٥ .

ولكن تم إلقاء القبض مرة أخرى عليه وسجنه في كاستامونوا وقدم إلى المحكمة عام ١٩٤٤، ثم تم القبض عليه مره أخرى هو واتباعه ، وقدموا إلى المحكمة الجزائرية عام ١٩٤٨ ولأهمية هذه المحاكمة سجلت في كتاب باسم (محكمه افيون الجزائرية)، وقد انتهت هذه المحاكمة بالحكم عليه بالسجن عشرين شهرًا.

وربما يكون هذا حال المفكر الذى أخذ على عاتقه إصلاح بلاده مما يشوبه من فساد، فعندما انهزمت مصر في الثورة العُرابية ، قبض على الأستاذ الشيخ محمد عبده مع من قبض عليهم من زعماء الأمة لمحاكمتهم ، وأودع السجن رهن مثوله أمام المحكمة العسكرية التي ألفها الخديوي توفيق لهذا الغرض ، وقد قضي في السجن ثلاثة أشهر وأيام . ثم حوكم وحكم عليه بالنفي إلي خارج القطر المصري ثلاث سنوات [١].

وبالنظر في حياة النورسي يمكن أن تنقسم إلى ثلاث مراحل متميزة:

- المرحلة الأولي: مرحله **سعيد القديم** : تبدأ من السنوات المبكرة لشبابه حتى نفيه إلى (بارلا) سنه ١٩٢٦م ، وخلال هذه المرحلة حاول النورسي خدمه الإسلام عن طريق الانخراط في الحياه السياسية ومحاوله التأثير فيها ، وذلك بدعوته إلى الإصلاح السياسي والتعليمي في عهد السلطان عبد الحميد ، وإلقائه الخطب في الجوامع والساحات. [٢]

وقد حظي النورسي في هذه المرحلة بفرصة التواصل المباشر مع السلطان عبد الحميد الثانى، وكانت صِلاتهُ بالطبقة الأرستقراطية العثمانية مقرونة بتقديره بوصفه عالمًا في عصره هي التي أتاحت هذا الوصول. تألق نورسي كعالم وسرعان ما بدأ إقامته في إسطنبول. ولقدرته على حل الأسئلة المعقدة لأشهر علماء الإمبراطورية، تم الاعتراف به وتبجيله بين العلماء في مركز الإمبراطورية أيضًا. كل هذه الأمر ساهمت في نجاح النورسي المستقبلي كواحد من أشهر العلماء في القرنين التاسع عشر والعشرين، ليس فقط في تركيا ، ولكن أيضًا في جميع أنحاء العالم الإسلامي [٣].

(١)طاهر الطناحي : مذكرات الامام محمد عبده ، دار الهلال ،ب. ت ، ص ١٦٥

(٢)جمال الدين فالح الكيلاني : بديع الزمان سعيد النورسي " قراءه جديده في فكره المستنير " ، دار الزنبقة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٤ .، ص٣٧ ، ٣٨ .

(3)Ansari, Mahsheed. Modern Debates on Prophecy and Prophethood in Islam: Muhammad Iqbal and Said Nursi. Taylor & Francis, 2023,p83

- **المرحلة الثانية مرحلة سعيد الجديد** : وهى تبدأ من وصوله منفيا إلى (بارلا) سنه ١٩٢٦ م وتستمر إلى غايه خروجه من سجن (افيون) سنه ١٩٤٩ م ، وفى هذه المرحلة انتهج النورسي منهجا جديدا ، اشتركت في تحديد معالمه عدة عوامل ، كان أهمها : التحولات السياسية التي عرفتها تركيا والعالم الإسلامي ، والتحولات النفسية التي رافقت تلك الأحداث ، حيث رأي النورسي عقم الأسلوب السياسي ، خاصه بعد انعدام الحرية واتساع موجه العداء للدين ، فوجه جميع جهوده لتجديد امر الدين ، وبناء العقيدة السليمة القادرة على دعم البناء الإسلامي وإسناده.
- **المرحلة الثالثة: مرحلة سعيد الثالث:** تبدأ من وقت خروج النورسي من سجن (افيون) سنه ١٩٤٩م حتى وفاته ١٩٦٠ ، وفى هذه الفترة شهدت تركيا تطورات سياسية مهمة .... وسمح لأول مره لرسائل النور بالطبع، وللنورسي بالتدريس الجماعي والحركة المقيدة [١].

لم تكن السطور السابقة مجرد سرد لسيرة ذاتية أو ببلوجغرافيا لحياة النورسي ، ولكننا يمكن نري فيها مرآه لأوضاع مجتمعاتنا العربية المعيشة ولاسيما في العقدين الآخرين ، فبداية من هجمات سبتمبر عام ٢٠٠٠ ، اقترنت صورة الإسلام بالإرهاب ، ودارت المعارك الحامية الوطيس لتخليص الشعوب المسلمة من براثن التخلف والقهر الذي تفرضه الدول الإسلامية كما شهدنا الوضع في أفغانستان والعراق ، تلك المعارك التي لم تخلف ورائها سوي دمار أصاب البلدان العربية والإسلامية وأفرز لنا جماعات إسلامية أكثر تطرفاً ، وظهرت أيضاً ثورات الربيع العربي في دعواتها إلي الحكم الديمقراطي كنموذج للحياة المدنية والمتحضرة ، و الصراع الذي عاشته هذه الدول بين حركات الإسلام السياسي والحركات اللبرالية ، وتلخصت صورة المشهد في صراع قائم بين الحركات الإسلامية وما تحمله تلك الحركات من نزعات تطرفية وأفكار رجعية وهدامة ، وبين الانفتاح والتحرر والديمقراطية كصورة ونموذج للحياة المتقدمة والمستنيرة .

وهنا يظهر دور العلماء والمفكرين وأصحاب الفكر المستنير في محاولاتهم تصحيح صورة الإسلام، فهو ليس كم يزعم البعض زريعة للتخلف أو التزمت، ولكنه ديانة

(١) المرجع السابق ، ص٣٧ - ٣٨ .

سماوية تنادي بإعمال العقل والفكر وتعلي من قيمة العلم والعمل . وهذا ما رأيناه في حياة النورسي فحياة النورسي كفرد يمكن ان نطبقها علي حياة مجتمعنا العربي والإسلامي وكيف تدرج من تقدم وازدهار في كنف الخلافة الإسلامية (الفكر الإسلامي المعتدل) إلي مراحل التدهور والانهيار ، ثم محاولات الصحوة والإصلاح من جديد.

ولقد كان لإلغاء الخلافة الإسلامية كذلك صدى كبير لدى مسلمي الهند ، ومنهم محمد إقبال وقد كتب كتاب أسماه " الخلافة "، وهو ما عبر عن إلغاء الخلافة شعرا بقوله:

جيب الشقائق غدا مزقا ونسمة الصبح روضاً تطلب الأنا

ما مصطفى أو رضا جلى حقيقتها فالروح في الشرق جسما تطلب الأنا[١]

وهكذا كان لإلغاء الخلافة العثمانية على أيدى علماء الاستعمار، وإقامه دوله قوميه علمانية في تركيا دور هام في نفوذ الحضارة الغربية الحديثة في العالم الإسلامي، وذلك لان تركيا لكونها مركزا للخلافة كانت تحتل منصب القيادة والزعامة في العالم الإسلامي قبل احتلال الاستعمار الأوربي الغاشم، فكان من الطبيعي ان خضوع تركيا للحضارة الغربية الجاهلية يتأثر به العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه [٢].

لقد تبدلت في عهد النورسي أحوال الأمة التركية فقد سيطر الجهل على عقول المسلمين ؛ إذ يمكن القول إن هذه الفترة امتازت بالتخلف العلمي والجمود والتقليد والمحاكاة ؛ فقد تم إبعاد أهل الفكر والعلماء المسلمين، وابتعد الناس عن منهج الله وحقيقه الإسلام وزادت الخرافات والأوهام التي سيطرت على أذهانهم ؛ لذا كانت مهمته الأساسية إصلاح الأمه ؛ لأن المسلم مثله مثل الغيث أينما وقع نفع.

ثانياً: منهجه الإصلاحي:

كان الغزو الحضاري الجاهلي الشامل على الإسلام والمسلمين لابد أن يواجه بمنهج إسلامي شامل متوازن ، ولم يجد النورسي مثل ذلك المنهج الشامل في أي عصر من عصور الفكر الإسلامي ، ولا في أي علم من العلوم التي درسها ، ولا الكتب الضخمة الكثيرة التي قرأها . وإنما وجدها في القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة وسنته

---

(١) عبد الوهاب عزام : الاسرار والرموز ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ٩١ .

(٢) اليف الدين الترابي : أبو الأعلي المودودى حياته ودعوته ،دار القلم ، الكويت، الطبعة الأولي ، ١٩٨٧م ، ص ٤٩ .

الطاهرة[١]،فكتب النورسي لنا "رسائل النور" مضمناً بداخلها منهجه الإصلاحي .

ورسائل النور هي مجموعة من الرسائل مكونة من مائه وثلاثين رسالة ،وتخطي عدد أوراقها ستة آلاف ورقة، وقد تمت ترجمتها من التركية إلى العربية.....سنه ١٩٧٤ على يد جماعه من طلبه النور فى ثمان مجلدات ، وترجع أهمية هذه الرسائل إلى أن مصدرها الرئيس هو القرآن الكريم وتفسيره، فلا مصدر لها إلا القرآن ولا أستاذ لها إلا القرآن ولا ترجع إلا إلى القرآن ، هو نفسه وحده الأستاذ والمرشد للمؤلف، فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم ، وتنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة " [٢] – الذى انتهى من تفسيره باللغة التركية عام١٩٥٠م –[٣] ،كما أن القارئ لها يري إنها فلسفة خاصة للحياة تهتم بأخذ الأمور بالمسلمات المنطقية وتأخذ بيد القارئ إلى دائرة الإسلام الفسيحة ، وأنها مستنبطة من القرآن الكريم ، وأنها فيض من حقائق القرآن.

ويوضح "النورسي" السبب في تسميتها بالنور ؛ أن هذا الاسم كان يلاحقه طوال حياته بداية من قريته " نورس " واسم والدته " نوريه " واسم أساتذته مثل سيد نور محمد وغيره.

إن (رسائل النور) برهان باهر للقران الكريم، وتفسير قيم له، وهى لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقه ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته . إن (رسائل النور) ليست كمؤلفات الأخرى التي تستقى معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون، فلا مصدر لها إلا القرآن ولا أستاذ لها إلا القرآن ، ولا ترجع إلا إلى القرآن ..ولم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها ، فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم ، فهي تنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة [٤] .

---

[١] محسن عبد الحميد : النورسي متكلم العصر الحديث ، ص ٧٥

[٢] بديع الزمان سعيد النورسي : الملاحق في فقه دعوة النور ، ترجمه :إحسان قاسم الصالحي ،دار سوزلر للنشر ، الطبعة السادسة ، ٢٠١١ م ، ص٢٢١ .

[٣] وربما يكون ما دفعه إلى ذلك عندما بلغه أن وزير المستعمرات البريطانية كان يخطب وفى يده نسخة من المصحف ويقول "إننا لا نستطيع أن نحكم المسلمين مادام هذا الكتاب بيدهم ، فلا مناص لنا أن نزيله من الوجود أو نقطع صله المسلمين به ". بديع الزمان سعيد النورسي :سيرة ذاتية ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، دار سوزلر للنشر ، استانبول ، تركيا ،طبعة أولى ، ٢٠١٠م ، ص ٥٣٧

[٤] بديع الزمان سعيد النورسي: مرشد أهل القران إلى حقائق الإيمان ، ترجمة :إحسان قاسم الصالحي ،شركه سوزلر للنشر ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ م ، ص٨١ .

كانت وظيفة رسائل النور الأساسية إثبات حقائق الإيمان من خلال البراهين العقلية ، وتناول كل المشكلات النفسية والعقلية التي يعاني منها الجيل وتقوية الروح الإيمانية في نفوسهم ؛ لأن هذا كفيل بأن يدمر كل ما يدبر ضد الإسلام من مؤامرات، ولكن الدعوات التي كانت في رسائل النور ، والتي مفادها أنه لن تتمكن البشرية من تحقيق نظام متوازن عادل يحقق الاستقرار خارج شرع الله كانت عقبة في طريق مصطفى كامل أتاتورك الذي انكشف للنورسي اتجاهه المعادي للدين.

فقد هدف" النورسي" إلى إصلاح المجتمع الإسلامي ، ووسيلته في ذلك كان بعث الفكر الإسلامي من جديد، وتفسير القرآن الكريم وإيضاح معانيه، فعلمه بالقرآن قد وهبه عصا مثل عصا موسى ، أينما ضربها انفجر الماء ، وتكشفت له الحقائق بلا مجهود، فقد كانت غايته إصلاح الأنفس ؛ لأنه إذا أصبح الأساس صلبًا قويًا لا يؤثر فيه مؤثر بعد الزلزال.

ووسيلته لهذا الإصلاح كانت في رسائل النور ، فهو يؤكد أن رسائل النور تسعى لمداوة القلب العام المجروح، وضمد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هيأت لها وركمت منذ ألف سنة ، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذى توجه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع ولا سيما عوام المسلمين (١) .

إن الدين حياة للحياة ونورها، فرقي الأُمه يكون بمقدار تمسكها بالدين وسقوطها بمقدار إهمالها له ، فالتهاون في تطبيق الشعائر الدينية يضعف الأمه ويشجع أعدائها عليها ، فالقضاء على الإيمان قضاء على الأمه بأكملها .لقد حاول تغيير إيمان الناس من إيمان تقليدي موروث إلى إيمان تحقيقي مشهود فقد رأى أن " أجل وظيفة هي إنقاذ الإيمان والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة " (2)

فقد رأى أن الإسلام يغذي الروح ، ويحقق متطلبات الفكر والعقل والقلب ، وينظر إلى الإنسانية نظرة بعيدة كل البعد عن التعصب أو التمييز .

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق في فقه دعوة النور ، ص١١٨ .

(2)بديع الزمان سعيد النورسي : مرشد اهل القران الى حقائق الايمان ، ص٤٤ .

لذا كان الدين الإسلامي الركن الأساسي في منهجه الإصلاحي، فقد رأى أن كل شيء لا يستمد أصوله من الإسلام لا يكون نظامًا متسمًا بالعدالة، حيث إنه لولا الدين لتحولت الحياة إلى سجن، كما رأى الشخص الملحد أشقى المخلوقات ، وأنه لا ينبغي أن نجعل الحياة مبتغاه ؛ لأن " من كان متوجهًا إلى الحياة الباقية ، ويسعى لها بجد وإخلاص فهو فائز بسعادة الدارين ، وأهل لهما معًا ، حتى لو كانت دنياه سيئة وضيقة ،إلا أنه سيراها حلوة طيبة ، وسيراها قاعة انتظار لجنته ، فيتحملها ويشكر ربه فيها وهو يخوض غمار الصب " (1)

وفي خضم التيارات الفكرية والثقافية المختلفة نرى كتاباته تتسم بالتأكيد على "مفهوم الإقناع" الذي يؤكد من خلاله التزامه الراسخ باللاعنف، فبالنسبة له لا ينبغي أن يلجأ المسلم إلى العنف، فلجوء المسلمين إلى العنف ضد غير المسلمين يدل على عدم الثقة بالنفس في الإسلام. المسلمون الواثقون من أنفسهم والذين هم أقوياء في دينهم لا يحتاجون إلى اللجوء إلى العنف فذلك يدل على عدم الثقة في جمال وتماسك وعقلانية الإسلام(2) .

ومن جانب آخر شجع النورسي على التعددية والانفتاح على الآخر، إذ يجد النورسي في تقليده عدة أسباب تفسر أهمية الالتزام بالتعايش البناء مع التقاليد الدينية الأخرى، كما آمن النورسي بأن الدولة بحاجة إلى مواطنين صالحين ، وأن المؤمنين الورعين يصنعون مواطنين صالحين (٣) .

لقد اقترب النورسي من "محمد عبده" و"إقبال" حين اعتمد على القرآن الكريم في منهجه الإصلاحي، فنرى محمد عبده قد نادى بأنه لابد من فهم الدين بالرجوع إلى منابعه الأولى أي القرن الكريم، وكذلك إقبال الذي كان يري أن القرآن//////// يرى أن العالم له غايات جدية ، فتطوراته المتغيرة تحمل حياتنا على التشكل بصور جديدة ، والجهد العقلي الذي نبذله للتغلب على ما يقيمه العالم من عقبات في سبيلنا يشحذ بصيرتنا فيهيئونا

(1) بديع الزمان سعيد النورسي : الكلمات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، دار سوزلر ،الطبعة السادسة ، ٢٠١١ م ،ص ٣٨ .

(2) Markham, Ian S., and Suendam Birinci Pirim. An Introduction to Said Nursi: Life, Thought, and Writings.,p53.

(٣) Ipid.,p53.

للتعمق فيما دق من نواحي التجربة الإنسانية الأخرى، فضلاً عن أنه يمد في آفاق الحياة ويزيدها خصبًا وغنى. واتصال عقولنا بغمرة الأشياء الحادثة هو الذي يدربنا على النظر العقلي في عالم المجردات .... والقرآن يبصرنا بحقيقه التغير العظيمة ، التي لا يتسنى لنا بغير تقديرها والسيطرة عليها حضارة قوية الدعائم [١] ، ولقد استخلص نظريته في الإنسان الكامل الذي يصفه بالمؤمن القوى من القران الكريم .

فقد بين إقبال بالبراهين العقلية الضعف العلمي في النظريات اللادينية والفلسفات المادية التي تولدت من تلك الحضارة الخبيثة فانتقد الجمهورية اللاتينية والشيوعية والعلمانية والثومية الوطنية ودعوة الإلحاد والتغرب ووليدة الاستعمار القاديانية وأهاب بالمسلمين علنا أن ينهضوا بالإسلام ويتمسكوا بعروته الوثقى، وينفذوا الأحكام الشرعية في كل شئون الحياة [٢].

وقد شخص إقبال الأمراض التي أصابت أمته:

١- الخوف من الموت والحرص على الحياة.

٢- فساد التوحيد المتمثل هيبه الناس وخوفهم من الحكام، ووصول هذه الهيبة إلى حد العبودية والتأليه .

٣- التواكل وطغيان التقاعس والتقاعد على أفعالهم .

٤- الجزع من الابتلاءات والنظر إليها أنها عنوان من الحظ المنحوس بدلًا من الصبر.

٥- اليأس والرهبنة والذى ظهر في موقف المسلمين من الظروف العصيبة التي واجهتها الأمة .

٦- النزوع إلى الغرب وثقافته وحضارته والأخذ بها دون قيد أو شرط [٣].

فقد ظهرت فلسفته الإصلاحية في نظريته التي أسماها الذاتية-خودي-[٤] ،

---

[١]) محمد اقبال : تجديد التفكير الديني في الاسلام، ترجمه محمد يوسف عدس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت،٢٠١١ م ، ص٢٢ .(

[٢]) اليف الدين الترابي : أبو الأعلي المودودى حياته ودعوته ، ص ٨٧ .

[٣]) نجيب الكيلاني : إقبال الشاعر الثائر ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ب ت ، ص ٣٨- ٤٣ .(

[٤]() كان أول داء وقعت عينه عليه هو أن المسلمين يخافون الموت ، ويحرصون على الحياة بعد أن صاروا مزقا واهواء ، ونحلا متباينة ...فلابد إذا ان يعودوا إلى "ذاتهم" ، لأنها مصدر الحركة والعمل ومصدر النور والحياة ،

وتتلخص أفكاره في نظريته هذه أن كمال الذات له ثلاث مراحل :

(أ) طاعه القانون الإلهي ، وان التوحيد الطلق ينفى عن النفس الاستكانة للمخاوف والأطماع .

(ب) ضبط النفس، ولا يكون إلا بنفي الخوف والشهوات، وأن هدف الإنسان الديني والأخلاقي هو إثبات الذات لا نفيها .

(ج) والنيابة الإلهية *بتحقيق الإنسان معنى خلافته عن الله في الأرض ليعمرها باسم الله وحده، فالحياة رقى مستمر، وجهاد لتحصيل الاختيار، وهى تسخير كل الصعاب التي تعترض طريقها، وأن الوقت هو الحياة ويكون الإنسان في هذه المرحلة مسيطرًا على العالم، مسخرًا قوى الكون نافخا الحياة في كل شيء، ويرد العالم إلى الإخاء والسلام [(١)] .

على الرغم من أن إقبال والنورسي كانا معاصرين، إلا أن هناك نقطتين تفرق بينهما: أولاً أنهما آتيا من طرفين متعارضين من العالم الإسلامي، وثانيًا استخدما أسلوبين مختلفين للتعبير عن آرائهما . بينما تقدم أعمال نورسي أفكارًا تعليمية وميتافيزيقية وفلسفية لآيات قرآنية معينة ، يقدم إقبال أطروحة أخلاقية وميتافيزيقية وفلسفية في أرقى المؤلفات الأدبية لشعره الفارسي والأوردو ، بالإضافة إلى أعماله النثرية في محاضراته وخطاباته ومقالاته وخطبه ، و بينما كان إقبال معروفًا في بلده الأصلي وبين الأكاديميين الغربيين كان النورسي في البداية أقل شعبية بين أمته حيث تجاهل علماء الجمهورية التركية أعماله حتى الآونة الأخيرة ربما بسبب القضايا السياسية والوطنية ، ومع ذلك لا يزال تأثير النورسي على المجتمع والفكر التركي مذهلًا [٢].

تأثرت الدولة العثمانية بالنظريات العقلانية والفلسفية للغرب أكثر من نظيرتها الهندية. ربما كان هذا بسبب القرب الجغرافي من أوروبا، مما يعني أن تسللًا أكبر وأسهل

ومركز الإنسانية ومدار الخلود ، يجب أن يعود الإنسان إلى " ذاته يقويها ويدعمها ، وينفى عنها الخوف والجبن والحرص الغبي ، ويردها إلى الطريق الحق ، وهكذا آمن اقبال بالفردية أو الذاتية ، لأنها الأصل ومنها البداية ، وإهمال " الذات " هو الجهل بأصل الداء واس البلاء . نجيب الكيلاني : إقبال الشاعر الثائر ، ص ٣٨ .

(*) نيابة الله لا تعنى الحلول محله سبحانه ؛ لأن ذلك يستلزم خلو المحل وانعدام شاغله أولاً ، كما يقول الفلاسفة ، وإنما يعنى بنيابة الله القوة التنفيذية التي تتولى إجراء حدود الله وشريعته – أحكام القرآن –. المرجع السابق : ص ٦٤.

(١) سيد عبد الماجد الغوري : محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف ، ص ١٥٦--١٥٧.

(٢) Ansari, Mahsheed. Modern Debates on Prophecy and Prophethood in Islam: Muhammad Iqbal and Said Nursi.,p5.

للفكر الأوروبي والتأثير السياسي على "الدولة الإسلامية" كان ممكنًا. يتناقض هذا مع الهند حيث كان الحكم الاستعماري البريطاني قد أطاح بحكومة المغول المسلمة قبل ولادة إقبال [١].

ومن جانب آخر كان فكر النورسي الإسلامي كما تبلور في كتابات ما بعد العصر العثماني مغايرًا مع فكر العديد من المفكرين الإسلاميين في تلك الفترة ، حيث إن معاصريه من أمثال محمد إقبال ، والعلامة المودودي [*] ، وحسن البنا [**]، وسيد قطب قد دافعوا بطريقة أو بأخرى عن إحياء الإسلام كسياسة وليس كعقيدة فقط [(٢)] .

لقد آمن النورسي إيماناً راسخاً بأنه من الممكن أن تتعايش الروح الإسلامية مع الحياه العصرية، وأن يمارس المسلمون إسلامهم دون اللجوء إلى السلطة السياسية، رغم محاولة النورسي في البداية إنقاذ تركيا ثم الإمبراطورية العثمانية من خلال المشاركة السياسية النشطة، لأنه أدرك أن السياسة لن تساعد في مواجهة التأثير الكاسح للعلمنة على المستوى العالمي، والأهم من ذلك أنه أدرك أن المشكلة الأساسية للإنسان الحديث لم يكن الجهل بل معرفة. فقد تم تحويل العقول الحديثة من خلال النظرة الغربية العلمانية للعالم. و تم استخدام العلم والتكنولوجيا ورأسمالية السوق الحرة لعلمنة العقول البشرية، وقد اعترف النورسي أنه حتى لم يكن آمنًا ضد مثل هذه الموجة العلمانية القوية، على الرغم من أن حياته كلها كانت مكرسة للقضايا الإسلامية. وبدلاً من الاستسلام للموجة العالمية

---

[١](Ibid,P: 81.)

(*)تقدم إلى الناس بتصور جديد ، مؤسس على تمييز المسلمين بقومية حضارية إسلامية ، تميزهم عن الهندوك ، الأمر الذى يستوجب تميزهم بكيان سياسي ، هو " دوله" في اطار اتحادي مع الهتادكه ، أو منفصله ومستقله إذا لم يكن هناك سبيل إلى هذا الاتحاد .. وهذه الدولة هي إسلامية القومية والحضارة والشرعية ، تمثل نواة ونموذجا للبعث العام للإسلام والمسلمين في مواجهه – لا القومية الهندوكية فحسب – وإنما - في الأساس – الحضارة الغربية المادية الإلحادية ، التي تمارس – بالاستعمار والتغريب- القهر والاستعلاء والهيمنة على غيرها من الحضارات .محمد عماره : أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية ، دار السلام للطباعة والنشر ، ص ٢٥

(**)ثلاثه تحديات واجهت الرجل ، وفرضت عليه الطريق الذى اختطه لنفسة ، والذى كان فيه متميزا عن العاملين فى حقل الدعوة الاسلامية ، مختلفا عمن سبقوة ، هذه التحديات هى : سقوط الخلافه الإسلامية فى تركيا وانحلال عروة الوحدة الاسلامية ، وتدافع سيل التبسير وتضاعف خطر الإرساليات ، واحتواء الاحتلال للحركه الوطنية لتكون خادمه للقانون الوضعى والنظام الليبراي وقائمه على الاعجاب بالمثل الغربي ......الدعوة أعلنت منذ اليوم الاول : أن الإسلام كل متكامل ، وأنه دين وسياسة ، ومصحف وسيق ، ودنيا وآخرة ، وانه ليس دين بمعنى العبادة او اللاهوت يتمثل فى العلاقه بين الله والإنسان فحسب ، ولكنه نظام مجتمع ومنهج حياة والدين بفهوم العبادة جزء منه .أنور الجندى : حسن البنا الداعيه الإمام والمجدد الشهيد ، دار القلم ، دمشق ، الطبعه الاولى ، ٢٠٠٠م ، ص ٥١-٥٢ .

[٢]) شكران واحده : الإسلام في تركيا الحديثة : بديع الزمان سعيد النورسي ، ترجمه : محمد فاضل، ٢٠٠٧ م ، ص ١١.)

للعلمنة اختار النورسي أن يكمل حياته بالنضال ضد الأيديولوجية العلمانية والحياة العلمانية (١).

فقد رأى أنه لا بد من العمل الجهادي للدفاع عن البلاد، أي أن طغيان السياسة النفعية جعله يبتعد عنها ويعتبرها من وساوس الشيطان، وهو ما كان يؤكد عليه كثيرا " لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات عله يخدم الدين والعلم عن طريقها، فذهبت محاولته أدراج الرياح، لذا قرر قرارًا حاسمًا بأن يترك السياسة وأن ينسحب من ميدانها(٢) .

وعندما يذهب لزيارته رجال السياسة يوضح لهم أن طلاب النور ليس لهم علاقه بالسياسة لانهم يعملون للآخرة لا للدنيا ، ولكنه مع ذلك كان يوجه لهم رسائل " ينصحهم فيها باتباع الشرع والاسترشاد بالإسلام الذى فيه الحل الصحيح لمشاكل الأمه كلها "(٣) .

مثله في ذلك الإمام محمد عبده رغم أنه بدأ حياته بالعمل في السياسة مع جمال الدين الأفغاني ، إلا أنه عندما سجن عام ١٨٨٢م ، راجع الفترة التي عمل بها في السياسة أثناء الثورة وقرر أن يعود لمواصلة فكره الإصلاحي ، وترك السياسة حتى وفاته ، فقد قرر هجر العمل السياسي اليومي وتطليق السياسة ، بمعنى السياسة العليا ، والعلاقة المباشرة بين الحاكم والمحكوم ، وعرض على الأفغاني مشروعه الشهير لإقامة مدرسة إسلامية في مكان بعيد عن تيارات السياسة والصراعات ؛ كي تربي قلة من المصلحين على نفس الطراز الذى هو منه ، كي يواصلوا غراس التهذيب والتربية والتعليم (٤).

فقد رأى أن السياسة هي التي روجت ما أدخل على الدين مما لا يعرفه ، وسلبت من المسلم أملاً كان يخترق به آفاق السماوات ، وأخلدت إلى يأس يجاور به العجماوات ، فجعل ما تراه الآن مما تسميه إسلامًا فهو ليس بإسلام ، وإنما حفظ من أعمال الإسلام

---

[1])Aydin, Necati. Said Nursi and Science in Islam: Character Building through Nursi's Mana-I Harfi. Routledge, 2019,p1.

[٢]) سعيد النورسي : سيره ذاتيه ، ص١٢٤ .

[٣]) محسن عبد الحميد : النورسي متكلم العصر ، ص ٤٧ .

[٤]) محمد عمارة ، الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ، دار الشروق ،القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ م، ص ٢٠٠ .

صورة الصلاة والصوم والحج ....فكل ما يعاب الآن على المسلمين ليس من الإسلام ، وإنما هو شيء أخر سموه إسلام ، والقرآن شاهد صادق " لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " (١) يشهد بأنهم كاذبون ، وأنهم هنه لاهون وعما جاء به معرضون (٢) .

والسبب في إدخال السياسة في الدين يرجعه محمد عبده إلى أن الخليفة العلوي بعد فتوحاته العظيمة قام بالاستعانة بجيش من الأتراك وغيرهم ؛ لتقويه ملكه وحمايته ، ولكن سرعان ما استطاع هؤلاء الجنود التغلب على الخلفاء وصارت الدولة تحت سيطرتهم.

وقد كانوا كما قال محمد عبده " جاءوا إلى الإسلام بخشونة الجهل، يحملون ألويه الظلم، لبسوا الإسلام على أبدانهم ، ولم ينفذ منه شيء إلى وجدانهم ، وكثيرا منهم كان يحمل إلهه معه يعبده في خلوته ، ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته ، ثم عدا على الإسلام آخرون كالتتار وغيرهم ، ومنهم من تولى سلطته ، ومنهم من تولي أمره " (٣).

فاجتمع على سلطان البلاد المصرية ذلان: ذل ضربته الحكومة الاستبدادية المطلقة، وذل سامهم الأجنبي إياه إلي ما يريده منهم غير واقف عند حد أو مردود إلى شريعة (٤).

أما إقبال فقد شارك في سياسة بلاده بأقواله وأفعاله، ورأس مجامع سياسية، وكان عماداً قوياً لحزب الرابطة الإسلامية (٥). للتمرد على هيمنه الحكم الاستعماري البريطاني في الهند

وأدلته على تقدم الإسلام المادي وتفوقه في المستقبل يتلخص في خمس قوى عظمى، وهذه القوى الخمس كانت أولاها: " ماهيه الإسلام " ، وثانيهما " الحاجه الشديدة والتي تعتبر أم الحضارة والصناعة " مضافا إليها " الفقر القاصم المدقع " وثالثها : " الحرية التي توافق أحكام الشريعة " ، ورابعها " الشجاعة " أو " قوة العقيدة " ، وخامسها :

(١) سورة فصلت : الآية ٤٢ .
(٢) محمد عبده : الإسلام بين العلم والمدنية ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ، ص ١٢٠ .
(٣) المصدر نفسه، ص ١١٩.
(٤) طاهر الطناحي : مذكرات الإمام محمد عبده ، ص ٤٠ .
(٥) عبد الوهاب عزام : محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، هنداوي ، ٢٠١٤م ، ، ص ٤٦ .

" عزه الإسلام التي تدعو إلى إعلاء كلمه الله في هذا العصر ، ترتكز على التقدم المادي [١] .

ولكن النورسي لم يرفض كل ثقافه الغرب ، بل تعامل معها بحكمه تعامل الناقد البصير والآخذ بالحذر مما يبثونه من أفكار ، والدليل على ذلك أنه طلب من السلطان عبد الحميد الثاني أن يعمل على نشر العلوم الحديثة خاصة في المناطق الفقيرة لإيمانه القوى بأهمية العلم للنهوض بالبلاد .

ويرى أنه يجب على العثمانيين الاقتداء باليابانيين في الأخذ من محاسن وفضائل الحضارة الأوربية ؛ مما يساعدهم على التقدم مع الحفاظ على تقاليدهم القومية فيقول في ذلك " نرحب بأن نأخذ من أوروبا أشياء مثل التكنولوجيا والصناعة مما يساعد على التقدم والتحضر، ومع ذلك، علينا أن نمنع مفاسد وشرور الحضارة من أن تتعدى حدود الحرية وحدود حضارتنا باسم الشريعة، وبهذه الطريقة سوف نصون شبابنا من خلال تنفس هواء الشريعة النقي " [٢] .

لذا كان يعرض تلك الأفكار على الشريعة لمعرفة صحيحها من باطلها " إن نهر العلوم الحديثة والثقافة الجديدة الجاري والآتية إلينا من الخارج كما هو الظاهر ، ينبغي أن يكون أحد مجاريه قسمًا من أهل الشريعة كي يتصفى من شوائب الحيل ورواسب الغش والخداع ، لأن الأفكار التي نمت في مستنقع البطالة ، وتنفست سموم الاستبداد ، وانسحقت تحت وطأه الظلم ، يحدث فيها هذا الماء الآسن العفن خلاف المقصود ، فلابد إذن من تصفيته بمصفاه الشريعة "[٣]، أي أن الآخذ من علوم الغرب غير محظور ، ولكن يجب أن يعرض على الشريعة أولاً ليؤخذ منه ما يتفق معها .

وهو نفس الطريق الذى سلكه محمد عبده فقد رفض تيار الجمود الذين يرون في العقل كفرًا وفى المنطق زندقة، كما رفض تيار التغريب ، الذي يرون في النقل تخلفًا ، وكلا الطريقين وقف أتباعهم موقف المقلد والمنقاد ، فحاول تأسيس تيار جديد وسط بين

[١]) شكران واحده : الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النورسي ، ص ١٥٩ .(
[٢]) شكران واحدة : الإسلام في تركيا الحديثة ، بديع الزمان سعيد النورسي ، ص ٩٥ .(
[٣]) بديع الزمان سعيد النورسي :صيقل الاسلام ، ترجمه إحسان قاسم الصالحى ،شركة سوزلر للنشر ،الطبعة السادسة ، ٢٠١١م، ص ٥٣٠(

هذين الاتجاهين .

محمد عبده يري أن " الفكر إنما يكون فكرًا له وجود صحيح إذا كان مطلقا مستقلاً، يجري في مجراه الذى وضعه الله عليه ، إلى أن يصل إلى غايته، أما الفكر المقيد بالعادات المستعبد بالتقليد، فهو المرذول الذى لا شأن له، وكأنه لا وجود له، وقد جاء الإسلام ليعتق الأفكار .... فنرى القران ناعيًا على المقلدين " (١).

وقد شخص النورسي أمراض الأمة الإسلامية " الأمراض الستة الفتاكة " التي كانت سببا في تأخر المسلمين والوقوف على أعتاب القرون الوسطى، وذلك في إحدى الخطب التي ألقاها في الجامع الأموي في دمشق باللغة العربية ، وقد سميت فيما بعد (الخطبة الشامية)، وكانت هذه الخطبة تمثل برنامجاً إصلاحياً سياسياً واجتماعياً متكاملاً، وقد لخص هذه الأمراض فيما يلي :

١ – اليأس والقنوط الذى وجد أسباب الحياة في النفوس.

٢–انعدام الصدق في الحياه الاجتماعية والسياسية.

٣– حب العداوة

٤– تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

٥– ذيوع الاستبداد ، وذيوع الأمراض المعدية .

٦– حصر الهمة في المنفعة الشخصية ، وتجاهل النفع العام .(٢)

والعلاج بالرجوع إلى القران الكريم ، أي أنه لابد من استشاره أهل القرآن في كل أمور حياتنا ، فقد شبهه بأنه بمثابه كليه الطب في حياتنا .

أي أن إنقاد الإيمان يكون بالبُعد عن اليأس والقنوط، ويكون بإحياء الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية ، ويكون بالتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، وبتحقيق الأخوة الإسلامية حتى يكون المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ويكون البعد عن التكبر والاستبداد والغش والخداع والكذب وغير ذلك من الصفات التي

(١) محمد عمارة : الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ، ص ٥٢ .

(٢) جمال الدين فالح الكيلاني : بديع الزمان سعيد النورسي " قراءة جديدة في فكره المستنير" ، ص٢٢ . .

تهدم ولا تبني [١].

كما يرى أن هناك خمسة مبادئ رئيسة لاستقرار الحياة الاجتماعية هي: الاحترام المتبادل، والشفقة والرحمة، والابتعاد عن الحرام، والحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة[٢] .

وفى سبيل إيضاح فكره وسياسته الإصلاحية سوف نوضح أهم نكاته الإصلاحية

ثالثاً: النورسي ونكاتة الإصلاحية

١- الفرد والجماعة

لا سبيل إلى ارتقاء الأمة إذا أهملنا الأخلاق واهتممنا بالعلم ، أو إذا أضعنا التوازن الواجب بين طبقات المجتمع (عامة وخاصة) ، لقد رأي النورسي أن هذا عصر الجماعة ، لا عصر الفرد ؛ فهم الأكثر قدرة على تنفيذ الأحكام الشرعية ، فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة هو الذى صمد تجاه الأعاصير وقد عبر عن هذا الأمر بقوله : " أهم أساس لقوة المسلمين هو التساند ؛ فإن الأعداء يبغون تشتت الأخوة وتمزيق شملهم ، فاعلموا يا إخوتي أن أهم أساس لقوتنا ونقطه أستنادنا هي التساند . وأياكم النظر إلى تقصيرات بعضكم لبعض " [٣] .

يتضح لنا أن منهجه الإصلاحي يعجز فرد واحد عن القيام به ؛ فهو يميل إلى اعتبار الشخصية المعنوية – التي هي روح الجماعة – " أثبت وأمتن من شخصية الفرد . وهي أكثر استطاعة على تنفيذ الأحكام الشرعية " [٤].

ورغم أنه كان يعلي من قيمة الجماعة على الفرد ، إلا أنه كان يؤكد أنه لا يضحي بالفرد من أجل سلامة الجميع ، وكان يري أن هذا تفسير الآية القرآنية " مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا "[٥] ؛ لذا كان يري أنه لا يفدي بالصغير لأجل الكبير ، ولا بحياة فرد وحقه لأجل سلامة جماعة ، والحفاظ عليها

---

(١) على القاضي : ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي ، ص ٨٦ .

(٢) سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٤٣-٤٤٤.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، طبعة سادسة ، دار سوزلر للنشر ، إستانبول ، تركيا ،٢٠١١م ، ص ٣٦٤.

(٤) سعيد النورسي :المثنوي الربي النوري ، ص ٢٠٣ .

(٥) سوره المائدة : الآية ٣٢.

إن لم يكن له رضى في الأمر ، أما إذا كانت التضحية برضاه ورغبة منه فهي مسألة أُخرى [١].

إن أجلَّ وظيفة لدى النورسي هي وظيفة إنقاذ الإنسان ، والسعي لإمداد الآخرين بالقوة، وكان خطابه موجهًا إلى الناس كافة ، على اختلاف ألسنتهم ودياناتهم، وهو هنا قريب من سياسة إقبال الذى أكد أن الرسالة الإسلامية كان مقصدها الأساسي الحرية والأخوة بين بنى آدم.

ولكن إقبال أعطى أولوية للفرد عن الجماعة، ولكن في حديثه عن نائب الحق – خليفة الله في الأرض–ودوره في عمليه الإصلاح يعتمد في ظهوره على الجماعة لا الفرد ، وهو ما عبر عنه بقوله : " أول شرط لظهور نائب الحق أن ترقى الإنسانية في جانبيها الروحي والجسمي ؛ فإن ارتقاء الإنسانية يقتضي ظهور أمة مثاليه تتجلى في أفرادها في الجملة هذا التوحد الذاتي، وتصلح لأن يظهر فيها نائب الحق " [٢] .

أي إنه كان يرى أنه لابد من التعاون والتضامن ؛ كي تقوى ذات كل منا وترتقي الإنسانية، وقد ضرب مثلاً على الفرد، وعلى كيفية سلوكه مجموعًا :

هو في المجمـــــع خال   ومن الحشـــد طليق
مثل شمع الحقل في الحقل   وحيـــــــد ورفيـــق
مثل شمس الصبح فكر فيه   نـــور وبريـــــــــــق [٣]

ورسائل النورسي ليست موجهة إلى الناس فقط ، بل إلى سائر المخلوقات في الكون" من نظر بنور الإيمان والتوحيد يرى العالم مملوءًا نورًا، وأنسيه وتحببًا وتوددًا و أجزاء الكائنات أخوانا أحياء مؤنسين، وأما إذا نظر بالكفر يرى أجزاء العالم أعداءً وأجانب أمواتا موحشين، ويرى العالم ظلمات بعضها فوق بعض ، وهو في بحر مظلم يغشاه موج من فوقه موج، إذا أخرج يده لم يكد يراها " [٤] .

لذا نراه يحذر من العداء بين البشر فهو سم زعاف لحياة البشر قاطبة، العداء

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة السادسة ، دار سوزلر للنشر ، إستانبول ، تركيا ،٢٠١١م ، ص ٦٧.
(٢) عبد الوهاب عزام : محمد إقبال سيرتة وفلسته وشعره ، ص ٦٨ .
(٣) نجيب الكيلانى : إقبال الشاعر الثائر ، ص ٥٠ .
(٤) بديع الزمان سعيد النورسي :المثنوى العربي ، ص ٣٢٧ .

والمحبة نقيضان، فهما كالنور والظلام لا يجتمعان معا بمعناهما الحقيقي أبداً [١] ، لذا كان يدعو إلى ضرورة التمسك بالآيات القرآنية التي تدعو إلى المحبة والعفو وغيرها من الآيات التي تحقق الوفاق والأخوة والوحدة في قوله تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " [٢] ،وقوله سبحانه : " وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ" [٣]

إن أسباب المحبة عند النورسي هي الإيمان والإسلام والإنسانية وأمثالها من السلاسل النورانية المتينة والحصون المعنوية المنيعة، أما أسباب العداوة والبغضاء تجاه المؤمن فإنما هي أمور خاصة تافهة الحصيات. وأن الود والمحبة والأخوة هي من طباع الإسلام وروابطه [4]

ويؤكد على ضرورة وجود المحبة بين البشر " فلكل احد علاقات بالمحبة والشفقة مع أقاربه، ثم مع أفراد عشيرته، ثم مع أفراد ملته ، ثم مع أفراد نوعه، ثم مع أبناء جنسه، ثم مع أجزاء الكائنات، بحيث يمكن أن يتألم بمصائبهم، ويتلذذ بسعادتهم " [٥] ، ويتفق النورسي مع إقبال في التأكيد على فكرة المحبة بين البشر ، فيري إقبال أن قوة الحب أكبر قوة في الإنسان ؛ لأنها الدافع له في أفعاله حتى المستحيلات.

وتأكيداً على فكره الأنا عند النورسي نجد أنه بدأ بنفسه أولاً في مشروعه الإصلاحي، فقد كان يردد أن من عجز عن إصلاح نفسه عجز عن إصلاح غيره؛ لذا كان تأثيره في الآخرين سريعًا ؛ حيث إنه أصبح مثال يحتذى به فعلا وقولا ، فيقول " إنى أخاطب نفسي في نصائحي ؛ لأنى أرى نفسي أحوج الناس إلى النصيحة "[٦].

كما أكد أنه لإصلاح المجتمع لابد من التعاون ويفرق بين أهل الحق والضلالة ، بأن أهل الحق لا يستطيعون خدمه الحق إلا بترك الأنا ، واهل الضلالة امتطوا الأنا فهو يجوب بهم في وديان الضلالة ، فلابد من "إذابة الأنانية وإلقائها كقطعه ثلج في حوض

(١) بديع الزمان سعيد النورسي :المكتوبات ، ص ٣٣٩.
(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٠.
(٣) سورة ال عمران ، الآية ١٣٤ .
(4) بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام ، ص٤٧٩
(٥) بديع الزمان سعيد النورسي : المثنوى العربي ، ص ٤٤٨ .
(٦) سمير محمد رجب : الفكر الأدبي والديني عند النورسي ، الطبعة الثانية ، سوزلر ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص ٢٢٢

الماء السلسبيل للجماعة ؛ ليغنم المرء ذلك الحوض الكوثري الكامل " [1]

٢- الوعاظ والمرشدين:

لقد أدرك النورسي ما للإرشاد من أثر فعال في التربية، وما يمكن أن يحدثه من تغيير عميق في سلوك الإنسان إذا ما وجه إليه برفق، وتناوله بالترغيب والترهيب، الأمر الذى يمهد لاقتلاع المعاصي والمنكرات وزرع الفضائل والصالحات بدلها[٢].

ويعطى للوعاظ والمرشدين نصائح ، وهى أن يكونوا محققين كي يتمكنوا من الإثبات والإقناع ، وأن يكونوا أيضا حكماء مدققين ؛ كي لا يفسدوا توازن الشريعة ، وأن يكونوا بلغاءً مقنعين ؛ كي يوافق كلامهم حاجات العصر ، وعليهم أن يَزنوا الأمور بموازين الشريعة .

ويرى أنه لا ينبغي أن يجلبوا من وراء عملهم أي منفعة ماديه أو شهره ، بل تكون هبة إلهية بنية خالصة ، ويوضح أنه " إذا كان درس الحقيقة في قيمه الألماس من أستاذ لا يتدنى للدنيا ، ولا يقع في الطمع والذلة ، ولا يأخذ أموال الدنيا بالحقيقة ، ولا يضطر إلى التصنع ، فإن درس الحقيقة نفسه يهبط من درجه الألماس إلى درجه الزجاج من أستاذ اضطر إلى اخذ الصدقة ، أو قهر على التصنع لأهل الثروة ، أو افتدى عزة علمه بذل الطمع " [٣].

ورأيه هذا لا يختلف عن كثير من علماء الدين والمجددين فالغزالي في إحياء علوم الدين يؤكد أن الفقه لا ينبغي أن يجني صاحبه من ورائه أي منفعة مادية ؛ فهو عبادة القلب وتجربة الباطن وصلاة السر، وكان هذا سبب إحراق كتبه خاصه " إحياء علوم الدين " بعد وصولها الأندلس على يد فقهاء المرابطين ؛ لاستحواذهم على السلطة السياسية في تلك الفترة وجني ثمار ماديه من وراء عملهم .

وكان مبدأ النورسي الذى يحكمه " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك "، ورأيه في الخلاف حول الأمور التي لم يرد بها نص صريح يعكس طبيعة شخصيته ؛ فقد كان لا يتعامل بتعصب مع معارضيه ، ويجادل باللين مادامت الأمور ليس فيها خروج عن الدين

---

[1] بديع الزمان سعيد النورسي: مرشد اهل القران الى حقائق الايمان ، ص ١٠٥ .

[٢] محسن عبد الحميد : النورسي متكلم العصر الحديث، ص ٣٠٩ .

[٣] محسن عبد الحميد : المرجع السابق ،ص ٣١١ .

لذا يقول : " إن تسعين في المئة من أحكام الشريعة مسلمات وضروريات دينية شبيهه بأعمدة من الألماس، أما المسائل الاجتهادية الخلافية الفرعية، فلا تتبلغ إلا عشرة في المئة. فلا ينبغي أن يكون تسعون عمودًا من الألماس، تحت حمايه عشره منها من ذهب ، ولا تابعه لها، إن معدن أعمد الألماس وكنزها : الكتاب والسنه " (١)

والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد كانت السمه الغالبة لدى المصلحين فالنورسي كان يستنكر التزمت إزاء بعض المسائل المعرفية ، ورأى أن هذا قد يكون سببًا في زيادة الفجوة بين الدين الإسلامي والأجانب لاعتقادهم بأن الإسلام يتناقض مع حقائق العلم، مثله في ذلك محمد عبده الذى أرجع بُعد الناس عن الشريعة ورضاهم عن الجهل بها إلى الجمود والتزمت في الأحكام الشرعية .

لذا كان النورسي يناشد بالاجتهاد في علوم العصر كاجتهادهم في علوم الدين ، لأن كليهما وجهان لعملة إلهية واحدة (٢) ، و يري أن باب الاجتهاد مفتوحٌ ، ولكن مع وضع موانع بسبب ظروف العصر الذي يعيش فيه على سبيل المثال كان يري أن الذين تلوثوا بالفلسفات المادية إلى اتخاذ الاجتهاد وسيله لتخريب الوجود الإنساني ، لا سيما في زمن هجوم العادات الأجنبية والبدع ، وهو ما دفع أهل هذا العصر إلى البحث عن اللذات الدنيوية ، وهو ما سوف يوجه مقاصدهم في الاجتهاد إلى تأمين سعادة الدنيا وتابعه للهوى وهو عكس مقتضي الشريعة ولا تصح أن تسمى اجتهادات شرعية . وهو ما دفعه إلى الاكتفاء باجتهادات فقهاء المذاهب فيما لم يرد به نص، فعلى سبيل المثال تصدى لمسألة كانت عقول المسلمين تحرفها " أنه من انكر أمراً ثابتا بالبرهان القطعي ، ككروية الأرض بحجة الحفاظ على الدين ، فقد تجنى على الدين جناية عظمى، إذ هذا ليس وفاءً للإسلام ، بل خيانة له " (٣). ورأيه هذا لا يعنى أنه ضد الاجتهاد وإعادة تأويل النص ، إذا اقتضت الضرورة، ولكن تحفظه نابع من تدخل العناصر غير الإسلامية.

وهو في هذا الأمر يتوافق مع إقبال الذى كان يرى أن حياة الفرد في حاجة دائمة إلى الموائمة والتجديد ؛ لأن الجمود والتقليد فيه تعطيل للمواهب الإنسانية ، وعدم مواكبه

(١) بديع الزمان النورسي: الكلمات ، ٨٤٦ .
(٢) أديب الدباغ : مطارحات المعرفة الإيمانية عند النورسي ، مركز الكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧ م ، ص ١٧ .
(٣) بديع الزمان النورسي: صيقل الاسلام ، ص٢٢

للتطور؛ لذا كان يري أنه مع ضرورة مراجعه المسلم دائما لقضايا الإسلام وفهمها والتيارات الفكرية التي ترد إليها أو تصدر عنها ، فإنه لابد مع هذا من الاجتهاد مؤسسًا على النظر للإسلام كله ، والبناء على الماضي دون ما انقطاع عنه ؛ حتى تتصل الحلقات الحضارية للفكر الإسلامي ، ولا تنبت فروع عن جذرها (١).

وهو ما عبر عنه شعرًا بقوله:

كيف تجلى حقائق لعيون عميت بالخضوع والتقليد

كيف يحيي الفرنج عربًا وفرسًا بفنون تسير نحو اللحود(٢)

أما محمد عبده فقد أطلق سلطان العقل من كل تقييد ، فلا حد للعمل ولا نهاية للنظر ، مادام مقيدًا بالخضوع لله وشريعته، وقد وصف أهل الحق " بالتمييز بين ما يقال، من غير فرق بين القائلين ليأخذوا بما عرفوا حسنه، ويطرحوا ما لم يتبينوا صحته ونفعه ومال على الرؤساء فأنزلهم من مستوى كانوا فيه يأمرون وينهون ، ووضعهم تحت أنظار مرؤوسيهم يخبرونهم كما يشاءون (٣).

ويؤكد النورسي على أهمية وضرورة العلم والتعلم و يظهرها من خلال التفرقة بين وظيفه الإنسان " التكمل بالتعلم أي الترقي عن طريق كسب العلم والمعرفة والعبودية بالدعاء " (٤)، بينما وظيفه الحيوان تتمثل في العمل حسب استعداده أي العبودية الفعلية .

وكان النورسي دائما يعاني من انحطاط المستوى العلمي والمعرفي للأمة وانحراف الأمة عن أصول الدين ، وكان يري أن من أسباب هذا تلوث المعرفة الإسلامية الفتوحات التوسعية واحتضان الأقوام الوافدة إلى حظيرة الدين الإسلامي واندماجها في البوتقة المعرفية الإسلامية (٥). وكان هذا سببًا في انتقاده للنظم الحديثة التي "لا تأبه للدين، ولا للردة عنه، إما لأن مذهبيتها مادية لا تقوم على العقيدة الدينية ، أو لأنها لا مذهبية على الإطلاق " (٦)

---

(١) سيد عبد الماجد الغوري : محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف ، ص ١٥٧ .

(٢) نجيب الكيلانى : اقبال الشاعر الثائر ، ص ٨٨.

(٣) محمد عبده : رساله التوحيد ،ص ١٥٩ .

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي: الكلمات ، ص ٣٥٥ .

(٥) عشراتي سليمان : النورسي في رحاب القرآن وجهاده المعنوى فى ثنايا رحلة العمر،سوزلر للنشر، ١٩٩٩م ، ص ٣٢٤ .

(٦) حافظ عثمان : الإسلام والصراعات الدينية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢ م ، ص ٢٤٥

ويقترب هذا الفكر من محمد عبده ، الذى رأى أن من أسباب تلوث المعرفة الإسلامية وتدهور معارف الطلاب وجمودها أن الآباء قد سمحوا لأبنائهم الذهاب إلى مدارس غير إسلامية أو يتلقوا العلم على يد أساتذة غير مسلمين وهذا قد يؤدى إلى أضعاف عقائدهم ، أو ربما تذهب عقائدهم وتحل محلها عقائد أخرى .

لذا كانت دعوة النورسي لإنشاء جامعه إسلامية باسم " مدرسه الزهراء " تعنى بالعلوم الحديثة إلى جانب العلوم الدينية، ومحاولة إصلاح وضع الأمة الإسلامية، وللوقوف بوجه الزحف الاستعماري الأوروبي على بلاد الشرق(١) ، ويقول أحد تلاميذه : إنه حاول بشتى الطرق إنشاءها على غرار الجامع الأزهر ، وكان هدفه من هذا المشروع :

١- توحيد المدارس الدينية و إصلاحها .
٢- إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصب الممقوت الناشئ عن الجهل، والمتمثل في قسم من مقلدي أوروبا و ملحديها.
٣- فتح باب لنشر محاسن المشروطيه
٤- إدراج العلوم الكونية الحديثة في مناهج المدارس الدينية
٥- تقليص الهوة بين المدارس الدينية والمدارس الحديثة ، وأهل الزوايا " التكايا " سعيًا إلى توحيد المقصد وتوحيد الصف في المجتمع (٢).

كما دعا النورسي إلى مشروعه – بداية – في الصحف محاولًا إبراز فائدته، ثم توجه إلى مقر الخلافة لإقناع السلطان عبد الحميد الثاني بجدوى مشروعه، لكن انتقاده الصريح لنظام الحكم جعل السلطان يرد عليه بإحالته إلى مستشفى المجانين ، ثم إلى السجن (٣)، وللأسف لم يكتب لمشروعه النجاح .

ويقترب مره أخرى النورسي من محمد عبده الذى حاول أن يقدم مشروعًا لإصلاح الأزهر لكن للأسف على غرار النورسي لم يكتب لمشروعه النجاح .

لقد شن محمد عبده هجوما شديداً على نظام الدراسة بالأزهر وجموده، ونادى

---

(١) بديع الزمان النورسي: سيره ذاتيه ، ص ٥٠٢.
(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الاسلام ، ص ٤٣٠.
(٣) جمال الدين فالح الكيلاني : بديع الزمان سعيد النورسي " قراءة جديدة في فكر مستنير "، ص ٩٤

بإدخال العلوم العصرية كالجغرافيا والتاريخ وغيرها وذلك سعياً لربط علماء الدين بمواكبه العصر. فهو لم يناد بالدراسة الدينية المنفصلة عن الدراسة المدنية والتي تكرس جهدها وتضيعه في الشكليات، بل سعى إلى تطوير الأزهر ، لا ليجعل منه جامعة مدنية ، ولكن ليؤهل خريجيه للتعرف على العلوم العصرية من منظور إسلامي (١).

٣- التصوف وعلوم عصره :

لقد كان والده " ميرزا" وَرعاً يُضرب به المثل، وكان يطلق عليه " الصوفي ميرزا" تعبيرًا عن انتمائه للطريقة الصوفية (٢)، وكان أستاذه عبد القادر الكيلاني ، أما كتاب فتوح الغيب فقد أثر في تكوينه تأثيرًا عظيمًا ، فقد شعر بأنه يخاطبه ، وعن وصفه لهذ الكتاب فقد شعر بأنه " قد حطم غروري ، وأجرى عمليات جراحية عميقة في نفسي ، استفدت منه فوائد جليلة ، وأمضيت معه ساعات طويلة ، أصغى إلى أوامره الطيبة ومناجاته الرقيقة " (٣) .

وقد بدأ حياته بالزهد والتقشف ، وعدم الانخداع ببريق الحياة، ومع ذلك لم يكن صوفيًا ، رغم أنه التحق بالمدارس التي كان يديرها العلماء ومشايخ الصوفية خلال طفولته، وكان غالبيتهم من أعضاء الطريقة النقشبندية، ومع ذلك لم ينضم أبدًا إلى أي من هذه الطرق، و خلال فترة الأزمة الروحية للنورسي عندما انسحب من المجتمع وجد ما كان يبحث عنه في كتابات عبد القادر جيلاني علاوة على ذلك ، الشيخ أحمد السرهندي. (١٥٦٣م-١٦٢٤م) ، المعروف أيضًا باسم الإمام الرباني – سيد الصوفية – كان له دور فعال في عثوره على الإرشاد في نهاية المطاف ومع ذلك كل هذا لم يدفعه إلى الصوفية بل إلى القرآن (٤) .

فكان يري أن هذا ليس وقت التصوف ، بل وقت البراهين المنطقية والأدلة العلمية

---

(١) حورية توفيق مجاهد : الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده ، مكتبة ٤٨٥ ، الطبعة السابعة ، ٢٠١٩ م ، ص ٥٨٥ .

(٢) شكران واحده : الاسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النورسي، ص ١٥ .

(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات ، ص ٤٥٩ .

(4) Ozkan, Tubanur Yesilhark. A Muslim response to evil: Said Nursi on the theodicy. Routledge, 2016, p7.

في عصر قد انتشرت فيه الثقافات والتيارات العلمية المختلفة ، وأن التصوف لا يستجيب لاحتياجات العصر، و في حديثه عن التصوف فقد كان يرى أن عصره عصرٌ لإنقاذ الإيمان ، وليس عصر تصوف، وكان يرى نفسه إمامًا كالغزالي والإمام الرباني ؛ لأنه يرى أن هذا عصر حفظ الإيمان ، فيقول : " إنى أخال أن لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني ، والإمام الرباني ، وأمثالهم من أقطاب الإيمان ...في عصرنا هذا ، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقويه الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية ، ذلك لانهما منشأ السعادة الأبدية ، وأن أي تقصير فيهما يعنى الشقاء الأبدي " (1)

وقد فرق بين طرق الوصول إلى المعرفـة الحقه التي لا تخرج عنده عن معرفه الله تعالى ، فرأى " أن أصول العروج إلى عرش الكمالات وهو معرفه الله جل جلاله أربعة : منهاج علماء الصوفية المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي ، ثانيهما : طريق علماء الكلام المبنى على الحدوث والإمكان ، ثالثها : مسلك الفلاسفة ، هذه الثلاثة ليست مصونة من الشبهات والأوهام ، رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة ، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول ، فهو اقصر طريق واضحة ، وأقربه إلى الله ، وأشمله لبني الإنسان ، ونحن قد اخترنا هذا الطريق (٢).

وينفى كونه صوفيًا في العديد من المواضع منها " أيها السادة إنني لست شيخا صوفياً، وإنما أنا عالم ديني، والدليل على هذا أننى لو كنت قد علمت أحداً من الناس الطريقة الصوفية، طوال هذه السنوات الأربع التي قضيتها هنا، لكان لكم الحق في الارتياب والوقوع في الشكوك "(٣) .

كان يعتقد أن الطرق الصوفية في هذا العصر لا تستطيع الوقوف أمام الهجوم المشكك في الإسلام، لأنها تعتمد التجربة الذاتية ولا تعتمد في إدراك الحقائق على البراهين المنطقية والحجج العقلية والأدلة العلمية التي هي صفه هذا العصر، وما يموج فيه من تيارات وفلسفات (٤).

(1) المصدر نفسه ، ص٢٠ .
(٢) بديع الزمان النورسي: صيقل الاسلام ، ص ١٢٤.
(٣) بديع الزمان النورسي: المكتوبات : ص ٧٩ .
(٤) محسن عبد الحميد : النورسي متكلم العصر الحديث ، ص ٢٠٥ .

ولم يختلف كثيرًا رأيه عن رأى محمد إقبال حيث كان يرى أن الممثلين لفكرة التصوف في العصر الأخير، بحكم بعدهم عن نتاج العقل الحديث، أصبحوا عاجزين تمام العجز عن قبول أي إلهام جديد من الفكر الحديث والتجربة العصرية. وهم يزاولون أساليب خلقت لأجيال كانت لها نظره ثقافيه تختلف عن نظرتنا نحن في نواح هامة (١) .

ولكن هذا لا يعنى انه أنكر دور التجربة الصوفية كطريق إلى المعرفة ، كونه لا يرجع في نشأته إلى الإدراك الحسي، بل ويرى أنه لا ينبغي أن نبخس القيمة الروحية للحالة الصوفية التي في جوهرها تعبر عن اتصال المريد بالذات الأزلية.

ولكن رغم هذا اتفق إقبال مع الغزالى وغيره من الصوفية في اعتماده على القلب كأسلوب من أساليب تحصيل الحقيقة، وأن ما يتحدث به القلب صادقٌ دائما ، ولكن إذا فسر تفسيرًا صحيحًا ، وذلك بالاعتماد على رياضة للقلب ؛ للوصول إلى المرحلة التي يتمكن فيها من الوصول إلى الحقيقة مباشرة .

العقل والقلب لا فرق بينهما في الوصول إلى لحقيقة ، كما رأى محمد عبده ما لم يطرأ علل أو أمراض روحية على النفس ، ويوضح أن العقلاء قد اجمعوا أن المشاهدات بالقلب من مبادئ البرهان العقلي .

أما لدى النورسي فإن القلب هو محل الإيمان ، وسلاح المؤمن في مواجهة صراع الحياة، كما أنه مصدر صلاح الأعضاء ؛ لأنه كما سبق وأوضح أنه محل الإيمان ، وأنه القائد لجميع أعضاء البدن خاصه الروح والعقل ، ومسئول عن المعرفة بسبب قيادتها " فيسوق القلب كل لطيفة منها ويوجهها نحو الحقيقة بطريق عبودية خاص بها، عند ذلك تسير الكثرة الكاثرة من اللطائف جنودًا في ركب عظيم وفى ميدان واسع فسيح " (٢).

وفى موضع آخر يوضح أنه المسئول عن المعرفة ؛ فالعقل بصر القلب ، وذلك بأن المقصود به " اللطيفة الربانية التي مظهر حسياتها الوجدان ، ومعكس أفكارها الدماغ لا الجسم الصنوبري " (٣). فلا يتنور الفكر دون ضياء القلب، فإن لم يمتزج النور والضياء صار الفكر ظلامًا ينفجر منه الجهل .

---

(١) محمد اقبال : تجديد التفكير الديني في الاسلام ، ص ١ .
(٢) بديع الزمان النورسي : الكلمات ، ص ٥٨٢ .
(٣) بديع الزمان النورسي : الشعاعات ، ص ٨٤

و لقد وصف التصوف بالفاكهة ، ووصف حقائق الإسلام بالغذاء ؛ فالإنسان لا يمكن أن يعيش بلا غذاء ، لكن يمكن أن يعيش بلا فاكهة ، وهو بهذا المثال يوضح أن من لا إيمان له لا يدخل الجنة ، وأن الداخلين بلا تصوف كثيرون جدًا، لذا كان يرى "أن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية، بل زمان إنقاذ الإيمان " (١)

كما أنه قد انتقد أصحاب البدع في الصوفية ، وقد وصفهم المجذوبون الفاقدون للعقل. فالحقائق التي يتوصل إليها عن طريق القرآن كانت في حال اليقظة والحضور لا في حاله السكر والغياب، فعندما ينجو المرء من الغفلة ، ويبلغ الحضور على نهج القرآن يجد إلى الحق سبحانه طريقًا ، فهو يري أن هذا الطريق أسلم من غيره " لأن ليس للنفس فيه شطحات، أو ادعاءات فوق طاقتها "(٢) ، وفى اللمعات ينفي عن نفسه القول باصطلاحات الصوفية مثل الفناء في الشيخ أو الفناء في الرسول .

ويري أنه يجب على هؤلاء أن يَزِنوا أعمالهم بميزان الشريعة ، ويسترشدوا بتعليمات الأولياء المحققين العلماء أمثال الغزالى والربانى .

وكان يري أن طلاب النور يفضلون خدمة النور بنشرها وجعل الناس يتقبلونها على مقام الولاية والكرامات ؛ وذلك لما تكسبه لطلابها من نتيجتين : أن تختم حياته بالحسنى ، أي يدخل القبر بالإيمان ، والأخرى القيام بالدعاء والاستغفار والعبادة وتحرى الحقائق وتحرى ليله القدر .

كما أنه قد انتقدهم بسبب نظرتهم إلى باقي الكائنات القائلين بوحدة الوجود – فقالوا لا موجود إلا هو – ، ووحدة الشهود – فقالوا لا مشهود إلا هو – لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم أمام الله ، والذى أثر على نظرتهم إلى باقي الكائنات .ولكن وحده الشهود لا ضرر فيها .

أما وحدة الوجود فقد أرجع قول محي الدين ابن عربي وغيره بالقول بوحدة الوجود بالاعتماد على فيوضات القرآن الكريم على القلب إلى سببين: الأول : أنهم لم يستوعبوا الربوبية في أعظم مراتبها ، ولم يستطيعوا إدراك أن كل شيء يخلق بقدرته وإرادته ؛ لذا

(١) بديع الزمان النورسي :سيرة ذاتية ، ص ٣٦٩ .
(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات ، ص٥٦١ .

ذهبوا إلى القول أن كل شيء هو الله ، وأن الموجود خيال أو من التظاهر أو الجلوات ، أما السبب الثاني فمرده إلى ارتباط العاشق بالمعشوق ورفضه الفراق ؛ لذا يرى العاشق أن التشبث بتجلي الإلهية يجعل الفراق معدومًا ، والوصال دائمًا بقوله : "لا موجود إلا هو"

ويقول عن محي الدين ابن عربي أنه مهتد ولكن كتاباته لا تستخدم للإرشاد والهداية ؛ لأنه غالبًا ما يخالف القواعد الثابتة لأهل السنه ، وقد تبدو بعض أقواله في ظاهرها كفرًا ، رغم أنه برئ من الضلالة .

ويبين النورسي مخاطر وحدة الوجود عندما تتحول من مجرد شطحة وجدانية ذوقية إلى أسس قولية وعقلية وعلمية. فحينئذ تصطدم مع الدساتير العقلية، والقوانين العلمية، وأصول العقائد الإسلامية النابعة من الكتاب والسنة المطهرين، وتصطدم مع ما كان عليه أهل الصحوة الإيمانية، من الخلفاء الراشدين والأئمة المجتهدين والعلماء العاملين من أجيال السلف الصالح من الأمة [١].

ومن مخاطر وحدة الوجود أيضًا " وحدة الوجود وأمثالها من الحقائق العالية ، إذا ما دخلت بين العوام الغافلين السارحين في تأثير الأسباب ، يتلقونها " طبيعة" وتولد ثلاث مضار مهمة" [٢].

والنورسي في هذه النقطة أيضاً يتفق مع إقبال الذي رفض كثيرًا من أحوال الصوفية كالسكر ؛ لأنه ينافي الإسلام وقوانين الحياة، كما إنه رفض فهمهم التوحيد ووحدة الوجود ؛ لأن كلا المصطلحين ليسا مترادفين ، كما توهموا " فالأول مفهوم ديني، والثاني فلسفي محض. ليس التوحيد ضد الكثرة كما يظن بعض الصوفية، بل هو ضد الشرك. أما وحدة الوجود فهي ضد الكثرة. وكانت نتيجة هذا الغلط أن عدَّ من الموحدين طائفة ذهبوا إلى وحدة الوجود – أو التوحيد في اصطلاح فلاسفة أوروبا الحاضرة – على حين أن المسألة التي ذهبوا إليها لا تتعلق بالدين بل بحقيقة نظام العالم. إن تعاليم الإسلام واضحة بينة، هو أن ذاتاً واحدة تستحق العبادة، وأن كل الكثرة التي ترى في العالم مخلوقه " [٣].

(١) محسن عبد الحميد : النورسي متكلم العصر الحديث ، ص ٢١١.

(٢) بديع الزمان النورسي : اللمعات ، ترجمه الملا محمد زاهد الملازكردي، الطبعة السادسة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٦ م، ص ٤٤٣ .

(٣) عبد الوهاب عزام : محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعرة ، ص ٧١.

أما بالنسبة لعلم الكلام فقد انتقد النورسي المنهج الكلامي لاعتماده على العقل دون اللطائف الأخرى كالروح والقلب وغيرها ؛ حيث إن " كل لطيفة من لطائف الجسم تأخذ منها وتمصها بحسب درجاتها ،فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة ناقصة ومبتورة " (١).

ويفرق بين منهج المتكلمين المعتمدين على الإيجاز الشديد والمقدمات العقلية دون النقل ، والذى لا يفهمه إلا الخواص في الوصول إلى الحقيقة والمنهج القرآنى الذى يمنح الحضور القلبي الدائم بمثال أنهم " يحفرون عيونًا في سفوح جبال بعيده ليأتوا منها بالماء إلى اقصى العالم بواسطه أنابيب ، أي بسلسلة الأسباب ، ثم يقطعون تلك السلسلة هناك ، فيثبتون وجود واجب الوجود والمعرفة الإلهية التي هي كالماء الباعث على الحياة ، أما الآيات الكريمة فكل واحدة منها كعصا موسى تستطيع أن تفجر الماء أينما ضربت ، وتفتح من كل شيء نافذة تدل على الصانع الجليل وتعرفه " (٢).

أي أن فهم القرآن الكريم بمجموعة وبمقدمات أولية ونتائجها وبمعارفه جميعها، وبالاطلاع على حقائقه في عالم الأنفس والآفاق ، هو الذى يرسم الموازنة الكاملة في فكر العالم المسلم والعارف المسلم (٣) ، والمعرفة المستقاه منه تجعل من كل شيء مراه تعكس المعرفة الإلهية وتفتح في كل شيء نافذه إلى المعرفة الإلهية .

وكذلك إقبال انتقد علم الكلام من حيث إن وظيفته مجرد وسيله للدفاع باستخدام أسلحته من المنطق اليوناني ، و قد غاب عنهم أنه لا يمكن للفكر أن يكون مستقلاً عن الواقع المتحقق في عالم التجربة .

لقد عين النورسي بدار الحكمة ، لكنه كان يعزف عن حضور الاجتماعات ، حتى طلب إعفاءه ؛ بحجة حاجته إلى الراحة بعد عناء الأسر ، وبعد فترة ادرك أن العلوم الفلسفية هي التي أعاقت سموه المعنوي ، ولوثت روحه وكان طريقه للخلاص القرآن الكريم ، واختار أن يدخل في مجاهداته النفسية للوصول إلى الصفاء والكمال الروحي ، وهوما عبر عنه بقوله : " إنه لشيء عجيب ، لقد كنت عضوا في دار الحكمة لأضمد

(١) بديع الزمان النورسي : المكتوبات ، ص ٤٢٦.
(٢) بديع الزمان النورسي :الكلمات، ص ٥١٢ .
(٣) محسن عبد الحميد : النورسي متكلم العصر الحديث ، ص ٧٩.

جراح الأمة الإسلامية ، على حين كنت في نفسي مريضا أكثر من أي شخص آخر "[١]

النورسي لا يرفض الفلسفة الحقة أو الفلسفة المؤمنة ، أي الفلسفة التي استجارت بالدين وأصبحت تابعة له فأصبحت خادمة للحياة الاجتماعية وتعين الأخلاق والمثل ، وتمهد للرقي الصناعي ، أما إذا اصطدمت الفلسفة مع حقائق الإيمان وأصبحت هناك هوة بينهم " احتشد النور والخير كله في سلسله النبوة والدين ، وتجمعت الشرور كلها حول سلسله الفلسفة " [٢].

أي أنه يرفض الفلسفة العبثية التي تنكر إله الكون ونظام الكون، وترفض مبادئ الدين الحق، ولقد غدت تلك الفلسفة وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد ، والسقوط في هاوية المستنقع العفن للطبيعة الجامدة، والتي ترى القوة نقطة استناد في الحياة الاجتماعية، وتهدف إلى المنفعة في كل شيء، وتتخذ الصراع دستورا للحياة والعنصرية رابطة للجماعات [٣] . هذا ينتج السفاهة واللهو والغفلة والضلالة في المجتمع.

ويري أن الفلسفة ترى أن "القوة" نقطه الاستناد في الحياه الاجتماعية وأن "الصراع" دستور الحياة وأن "العنصرية والقومية" رابطة للجماعات ، بينما المنهج القرآنى يوضح لنا أن "الحق" نقطه الاستناد في الحياة وأن "التعاون" دستور حياة و"رابطه الدين" رابطه للجماعات.

وقد فرق بين أخلاق من تربي على الفلسفة ومن تربي على كتاب الله، فمن تربي على الفلسفة أخلاقه تكون تمردًا وعنادًا ومنفعة ومصلحة " فالتلميذ المخلص للفلسفة "فرعون" ولكنه فرعون ذليل ، إذ يعبد أخس شيء لأجل المنفعة ، ويتخذ كل ما ينفعه ربا له ، ثم أن ذلك التلميذ الجاحد " متمرد وعنود " ولكنه متمرد مسكين يرضى لنفسه منتهى الذل في سبيل الحصول على لذه ، وهو عنود دنئ ...." [٤] .

أما من تربي على القرآن فإنه يكون متواضع، لين، هين، قوى، غير متكبر ولا متجبر، ذو عزة ، لا يعمل إلا لوجه الله تعالى.

---

[١] احسان قاسم : بديع الزمان، ص ٣٦٦.

[٢] بديع الزمان النورسي : الكلمات ، ص ٣٩ .

[٣] ابراهيم سليم ابو حليوه : بديع الزمان النورسي وتحديات عصره ، ص ٣٣

[٤] بديع الزمان سعيد النورسي : الكلمات ، ص ١٤٤.

وهنا يظهر الفارق بينه وبين إقبال الذى كان يرى أنه ليس هناك من سبب يدعو إلى الظن بأن الفكر والبداهة متضادان بالضرورة ؛ فهما ينبعان من أصل واحد، وكل منهما يكمل الآخر، فأحدهما يدرك الحقيقة جزءاً جزء ، والأخر يدركها في جملتها : أحدهما يركز نظرته نحو ما فيها من خلود ، والثاني نحو ما فيها من حدوث ، فالبداهة هي الحاضر فيهدف بالحقيقة في مجموعها ، أما الفكر فيهدف إلى إدراك هذا المجموع بالتدبر في تعيين أجزائه المختلفة ، وإفراد كل واحد منها ، والتأمل فيه على حده . كلاهما يفتقر إلى الآخر لتجديد قواه ، وكلاهما يتلمس شهود نفس الحقيقة التي تتكشف لكل منهما على نحو يتلاءم ووظيفته في الحياة (١) .

فالفلسفة عنده ما هي إلا نظر عقلي في الأشياء _ نظريات _، أما الدين يهدف إلى اتصال بالحقيقة أقرب وأوثق _ تجربة حية _

أما محمد عبده واستناداً إلى مبدئه ، بأن العقل من أشد أعوان الدين ،وأن النقل من أقوى أقرانه لم ينتقد الفلسفة أو الفلاسفة لأنه " لم يكن من هم أهل النظر من الفلاسفة إلا تحصيل العلم ، والوفاء بما تندفع إليه رغبه العقل من كشف المجهول أو استكناه معقول ، وكان يمكنهم أن يبلغوا من مطالبهم ما شاءوا ، وكان الجمهور من أهل الدين يكنفهم بحمايته ، ويدع لهم من اطلاق الإرادة ما يتمتعون به في تحصيل لذه عقولهم ، و إفادة الصناعة وتقوية أركان النظام البشري بما يكشفون من مساتير الأسرار المكنونة في ضمائر الكون مما أباح الله لنا أن نتناوله بعقولنا وأفكارنا" (٢) .

وبعد كل ما سبق يرى النورسي "أن ضياء القلب هو العلوم الدينية ونور العقل هو العلوم الحديثة ؛ فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية"(٣)، ومن قوله هذا يتضح أنه يدعو إلى الاتفاق والتكامل بين أهل المدرسة الدينية التي تدرس العلوم الشرعية والمدرسة الحديثة التي تدرس العلوم الكونية الحديثة ، وأهل الزوايا أو التكايا التي تعلم القيم والأخلاق الصوفية.

---

(١) محمد إقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام ، ص ٧ .

(٢) محمد عبده : رساله التوحيد ، تصدير / عاطف العراقي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،٢٠٠٠م ، ص ٢٠ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٠٢

وهذا أيضاً هو ما وصل إليه محمد عبده فالإسلام عنده لن يقف في طريق المدنية بل سيهذبها وينقيها والمدنية ستكون من أقوى أنصاره إذا عرفته حقيقة ؛ لأنه رأى أنهم أشد تمسكًا بالدين الإسلامي ممن يدَّعون الورع والتقوى؛ لذا كان يدعو إلى دار العلوم لتحقيق الوسطية* الجامعة التي يتميز بها الدين الإسلامي والتي يمكن أن تحل محل الأزهر؛ فإن آماله كانت تتعلق " بدار العلوم " التي تجمع بين علوم الدين وعلوم العصر، بل لقد رآها سبيلاً مأموناً لوحدة " الشخصية التعليمية " للأمة، بدلاً من الانفصام والانفصال إلى " تعليم دنى " لا صله له بالدين، و " تعليم ديني " لا صله له بالمدنية والدنيا (١) .

لأن منهجه الإصلاحي كان يواجه تيارين أساسيين كان لهما أثرهما في استقطاب الأمة الإسلامية ، وخاصة المثقفين فيها ، وهما من ناحية تيار الجمود في إطار الظلام الفكري للعصرين المملوكي العثماني ورؤية طلاب علوم الدين في ذلك الوقت، ومن ناحية أخري تيار التغريب القائم على العلمانية وضرورة الأخذ بالحضارة الغربية ، والنظر إلي الدين على أنه لا يواكب العصر ، وذلك في رؤية طلاب الفنون في ذلك الوقت (٢) .

٤- الغربة:

لقد أثر السجن وكثرة الاعتقالات وغيرها من الظروف القاسية التي عانى منها النورسي عليه تثير عظيم وجعلته يؤثر العزلة لمقاومة ضغوط الحياه المختلفة والأحداث التي شهدها العالم ومنها الحرب العالمية التي كان يرى إنها تفسير للآية القرآنية " يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا "(٣) ، فقد كان يشعر أنه في الثمانين ، رغم أنه مازال في الأربعين من عمره .

وعن كيفية الخلاص من الشعور بالغربة في المجتمع فإنه وضح أنه عند شعوره

---

* تحدث الامام محمد عبده عن الوسطية الإسلامية الجامعة ، التي هي خصيصه من خصائص الاسلام ، وقسمه ثابته من قسمات المنهج الإسلامي في الاصلاح –اصلاح النفس، واصلاح الاجتماع الإنساني-كما تحدث عن انحيازه الى هذه الوسطية الإسلامية ، وتميز منهاجه الإصلاحي بهذه الوسطية عن اهل الغلو ، غلو الافراط عند طلاب علوم الدين في عصره ، وغلو التفريط عند طلاب النموذج الغربي الوافد في ركاب الاستعمار . انظر / محمد عماره : المنهج الإصلاحي للأمام محمد عبده ، مكتبه الإسكندرية، ٢٠٠٥م ، ص ٥٠-٥١ .

(١) المرجع السابق: ص ٥٤ .

(٢) حورية توفيق مجاهد : الفكر السياسي من أفلاطون الى محمد عبده ، ص ٥٨١

(٣) سورة الزمر : الآية ١٧ .

بالغربة حين رحل قرنائه وأحبابه وأقاربه، وشعوره بالغربة حين فارق وطنه أنه تخلص من هذا الشعور عن طريق خمس دوائر نورانية من دوائر الأنس " فذكر لساني " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "(١) وتلا قلبي " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ "(٢) وقال عقلي مخاطبا لنفسي المستغيثة من اضطرابها ودهشتها ...... دع الجزع أيها البائس" (٣)

وبعد فترة خطر على ذهنه تساؤل انه قد أتم مهمته ووظيفته عن طريق رسائل النور ، وأنه سيرضى بهذه الغربة النورانية، وقد قدم نموذجًا للاستغناء عن كل ما سوى الله " واتخاذ الاستغناء ليس عادة له فحسب بل مشربًا ومسلكًا ومذهبا ينتهجه عبر سني عمره، ولا يزال ثابت الخطى كل الثبات في هذا الدرب مهما كلفه ذلك من المصاعب والمتاعب " (٤)، وقد انتقل هذا إلى طلابه وأصبح غايتهم في الحياة.

٥- الصبر:

أستهل حديثي عن الصبر بمقولة النورسي: **"ما أطول زمن النوائب"** مقولة كتبها النورسي من واقع تجربته المعاشة ؛ قاصداً بها أن الصبر أنه طويل كالعمر الطويل بسبب ثماره ومردوده العظيم على حياة الإنسان. كما أنه كان يرى أن الصبر يحل المشاكل حتى أصبح من مضرب الأمثال إن الصبر مفتاح الفرج.

ولقد تحدث النورسي كثيرًا عن الصبر في أعماله ؛ نظراً لأن حياته كانت شاقة وعانى فيها كثيرًا فكانت مليئة بالصبر، إما على الطاعات والعبادات ؛ حيث كان يرى أنه بما أودع الله فيه من عيوبه وافتقار إليه وقيامه بالعبادات أصبح الإنسان سلطان الكائنات وسيد المخلوقات " لو كان لي ألف روح ، لكنت مستعدا لأن أُضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة ، إذ الشريعة سبب السعادة وهى العدالة المحضة وهى الفضيلة "(٥) ، أو بالصبر على المصائب و الابتلاءات ، ولكن قربه من الله وتوكله عليه هو ما بدل حاله من الحزن و الألم بسبب الابتلاءات إلى السعادة والسرور وهى التي سيرت

(١) سورة ال عمران ، الآية ١٧٣
(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٩ .
(٣) بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات ، ص٣٧ .
(٤) بديع الزمان سعيد النورسي : سيره ذاتيه ، ص٢٧ .
(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٨ .

حياته إلى ما آلت إليه " لقد تحقق لدى يقينا أن أكثر أحداث حياتي ، قد جرت خارجة عن طوق اقتداري وشعوري وتدبيري ، إذ أعطيت لها سير معين ووجهت وجهة غريبة ، لتنتج هذه الأنواع من الرسائل التي تخدم القرآن الحكيم ، بل كأن حياتي العلمية جميعها بمثابة مقدمات تمهيدية ، لبيان إعجاز القرآن بـ "الكلمات" (١)

فالمصيبة تكون في الدين ، أما المصائب التي لا تكون في الدين أي مادية ، إما أن تكون تنبيه رباني ، أو كفارة للذنوب أو منحة إلهية لإشعار الإنسان بعجزه وفقره .

فمتى ما أزال الإنسان القلق والوهم من جذوره بالرضا بقضاء الله، وتوكل على رحمته، تضمحل المصيبة المادية تدريجيًا ....قد عبر عن هذه الحقيقة يوما بما يأتي :

أنت إن تبسم في وجه البلاء
عادت الأرزاء تذوى وتذوب
تحت شمس الحق حبات برد
فإذا دنياك بسمة
بسمة من ثغرها ينساب ينبوع اليقين
بسمه نشوي بإشراق اليقين
بسمه يري بأسرار اليقين (٢)

ولا تمنح المصائب الإنسان الالتجاء إلى الله بلسان واحد فقط بل يستغيثه بلسان كل عضو من أعضائه ؛ لذا كان يري أن إظهار العجز كله أمام الله وليس إظهاره أمام الناس ، فهو كالعشق طريق موصل إلى الله أي أنه يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية ، ويرى في العجز " معدن النداء ، والاحتياج منبع الدعاء " (٣) ، والعجز عنصر أساسي في ماهيةالإنسان ، وكنوز العجز والفقر مندرجة في ماهية الإنسان وسائر المؤثرات المهيجة والمحركة (٤).

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠١
(٢) بديع الزمان سعيد النورسي :اللمعات ، ص ١٨٢
(٣) بديع الزمان سعيد النورسي: المثنوى العربي النوري ،ص ١٩٥ .
(٤) ابراهيم سليم ابو حليوه : بديع الزمان النورسي وتحديات عصره ، ص ٢٩٩ .

كما تحدث النورسي عن صبر سيدنا أيوب عليه السلام، وكيف أنه ظل صابراً جلداً حتى أصابت القروح جسده كله ولكنه " حينما أصابت الديدان الناشئة من جروحه قلبه ولسانه اللذين هما محل ذكر الله وموضع معرفته تضرع إلى الله بهذه المناجاة الرقيقة " رب أنى مسني الضر وأنت ارحم الراحمين " خشيه أن يصيب عبادته خلل ، ولم يتضرع إليه طلباً للراحة قط (١).

ومن خلال نظرة إلى جراح سيدنا أيوب أدرك أنه لو انقلب ظاهرنا بباطننا لوجدنا أنفسنا مثقلين بالقروح والأمراض ؛ لأن كل ذنب أو إثم يقترفه الإنسان يترك أثراً في قلوبنا ، وبزيادة تلك الآثار بزيادة الذنوب والآثام وعدم محوها بالاستغفار يخرج نور الإيمان من القلب ويبقي مظلما .

وضرب مثلاً لذلك " إن الذى يرتكب سرًا إثما يخجل منه، وعندما يستحى كثيرًا من اطلاع الآخرين عليه ، يثقل عليه وجود الملائكة والروحانيات ،ويرغب في إنكارهم بأمارة تافهة " (٢)

ويناشد المبتلين بإمعان النظر في كل مصيبه ؛ لأنه سيجد فيها نعمة، وينبغي عدم التعظيم من أمر البلاء؛ كي لا تتعاظم بداخل المبتلى ، ومع الأسف والقلق والأوهام سوف تنقلب صورتها الوهمية إلى حقيقة توجع القلب وتجعله غير قادر على إدراك النعمة في البلاء.

وكان يبث معنى الصبر في نفوس المظلومين والمسجونين ؛ فقد أطلق على السجن بعد فتره من دخوله اسم المدرسة اليوسفية ، و في نفوس الشيوخ فقال إنه علينا أن نرضى بالشيخوخة والمرض والموت ونراها لطيفه بنور الإيمان " فما دمنا نملك إيمانا وهو النعمة الكبرى ، فالشيخوخة إذن طيبة ، والمرض طيب والموت طيب أيضاً " (٣)، و نفوس المرضى فقد وصف المرض للمرضى بأنه " كمفعول الصابون ، يطهر أدرانك ، ويمسح عنك ذنوبك ، وينقيك من خطاياك ، فقد ثبت أن الأمراض كفارات للذنوب والمعاصي "(٤)

(١) بديع الزمان سعيد النورسي : اللمعات ، ص ١٠ .
(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: اللمعات ، ص١١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٢ .

، كان يبث فيهم الحكم والمنافع المرتبطة بالصبر على المرض وأكد على الشعور بالفرح واللذة بعد زوال المرض؛ لذا كان يشبه المرض بالمرشد الناصح وموقظ الغافلين.

وأوضح أن هناك ثلاثة أسباب تجعل الإنسان ليس له حق الشكوى من المرض:

١- إن الله خالق الإنسان يتصرف في ملكه كيف يشاء، ألبسه لباس الوجود وله حق التصرف، وهذا التصرف يعبر عن تجليات أسمائه الحسنى ؛ فاسم المغنى يقتضي الفقر واسم الشافي يقتضي المرض وغيرها من الأسماء .

٢- إن الدنيا ميدان اختبار وابتلاء وليست محل تمتع وتلذذ.

٣- إن الحياه تتصفى بالمحن وتتزكى بالأمراض لتبلغ كمالها أما الحياة التي تمر على فراش الراحة فهي اقرب إلى العدم .

كما تحدث عن نوع آخر من أنواع الصبر هو الصبر على العبادة الذى يوصل صاحبه إلى مقام المحبوبيه التي هي أعلى مقام.

٦- اللذة والألم:

لقد اعتمد النورسي في رسائله على المنهج التقالبي الذي هو منهج القرآن نفسه فقد خلق الله الكون كله على المتقابلات الكون والفساد، اللذة والألم، الجنة والنار، النعيم والجحيم، الغنى والفقر وغيرها من المتقابلات. وهو ما يتضح في رسائل النور التي تسير على نفس الوتيرة، فنرى فيها التقابل بين الدنيا والآخرة، اللذة والألم، الجنة والنار، أهل الهداية واهل الضلالة.

لقد شبه النورسي الحسنات والخصال الحميدة والعمل بالحقائق الشرعية بملذات الجنة وما يقابلها من آلام معنويه متمثل في المعاصي والمتع المحرمة ، وهذا ما سوف يتضح في إيضاح فكرته عن اللذة والألم كما استقاها من القرآن الكريم.

إن الإنسان كما يوضح أدنى مئة مره من الحيوان من حيث التمتع باللذات ففي حين أن الحيوان لا يعكر صفو لذته شيء ؛ لأنه لم يمنح التفكير، فإن الإنسان ذو علاقة فطرية وثيقة بالماضي والمستقبل ، فضلاً عما هو عليه من زمان حاضر ، حتى أنه يتمكن من أن يذوق لذائذ تلك الأزمنة ويشعر بآلامها.

واللذات تنقسم إلى دنيوية و أخروية ، ولذات الحياة تتمثل في الحياة بالإيمان

والتزين بالفرائض ، وهذا ما يؤدى إلى استنارة الأزمنة الماضية واستضاءة الأزمنة المقبلة، وهذا ما يقود إلى التمتع باللذات الأخروية عن طريق الفوز ببطاقة الجائزة أي السعادة الأبدية .

وفى حديثه عن لذائذ الدنيا وضح أن الشرع نهى عن اللهو وما يلهى كآلات اللهو وان لم تحرمها كلها " بمعنى أن الآله التي تؤثر تأثيرا حزينا حزنا قرآنيا لا تضر ، بينما أثرت في الإنسان تأثيرا عظيما ، وهيجت شوقا نفسانيا تحرم الآله " [١]

ولأن زوال اللذة ألم ؛ كان هذا من أسباب رفضه لذات الدنيا ؛ لأن زوال لذة طارئة قد يؤدى إلى آلام دائمة مستمرة ، بينما زوال ألم مثل المرض قد يكون سببًا في لذة دائمة .

لذا كانت رسالته أن كل من يجعل الحياة الفانية مبتغاه فسيكون في جهنم حقيقة ومعنى ،حتى لو كان يتقلب ظاهرًا في بحبوحة النعيم . وأن كل من كان متوجهًا إلى الحياة الباقية ويسعى لها بجد وإخلاص ؛ فهو فائز بسعادة الدارين وأهل لهما معًا ، حتى لو كانت دنياه سيئة وضيقة ، إلا أنه سيراها حلوة طيبة ، وسيراها قاعة انتظار لجنته ، فيتحملها ويشكر ربه فيها وهو يخوض غمار الصبر [٢] .

ونضرب مثلاً لتوضيح تلك الفكرة: إذا مرض شخصاً أو اضطر إلى الخضوع لعملية جراحية، فإنه سيشعر بألم أكبر من خلال اعتبار المرض كارثة سيئة بلا فائدة. إذا تمكن نفس الشخص من قراءة معنى المرض من حيث فوائده في هذه الحياة والآخرة فإنه سيصبح صبورًا ويعاني من ألم أقل نسبيًا. هذا ينطبق على أي محن في الحياة. ومثالاً أخر أيضاً: أثناء انتظار مغادرة طائرتنا، إذا سمعنا إعلان تأخير لمدة خمس ساعات فمن المحتمل أن نشعر بألم الانتظار بلا سبب، بالنسبة لأولئك الذين لا يستطيعون قراءة معنى أحداث الحياة من خلال منهج المنطق فإن أي تجربة مؤلمة تؤلم أكثر [٣] .

ومن منظور النورسي ، يمكننا تصنيف التجارب المؤلمة والممتعة إلى أربع فئات:

---

١) بديع الزمان النورسي : الكلمات ، ص ٨٦٩ .

٢) المصدر نفسه، ص ٣٧ .

3) Aydin, Necati. Said Nursi and Science in Islam: Character Building through Nursi's Mana-I Harfi., p 150.

(١) تجربة ممتعة مؤلمة ، (٢) تجربة مؤلمة مؤلمة ، (٣) تجربة مؤلمة سارة ، (٤) تجربة ممتعة ممتعة [1] .

ومن هنا كان رفض النورسي لمعنى الحرية المتمثل في تلبية متطلبات النفس الأمارة بالسوء باستعمال ما أودعه الله فينا من لطائف معنوية رقيقة ، وآلات وأعضاء حساسة وجوارح وأجهزة ومشاعر، كما أن الإنسان ليس حرًا ؛ بمعنى أنه يحطم كل نظام ؛ لأن هذا سيكون عشوائية يسلب العقل والقانون وتقضي على حريه الآخرين، وهنا الحرية سوف تصبح وبالاً على صاحبها إذا كانت لا تلتزم بأوامر الله وثوابت الإنسانية " أن الحرية الخارجة عن دائرة الشرع إنما هي استبداد أو أسر بيد النفس الأمارة بالسوء "[2] .

الحقائق الأبدية الخمس التي يجب أن تقوم عليها الحرية. وهذه الحقائق هي: الأولى " الوحدة "، الثانية " العلم والتعلم والحضارة "، الثالثة " جيل جديد من الرجال الأكفاء والمثقفون القادرون على قياده وحكم هذه الأمة " .....الحقيقة الرابعة هي " الشريعة " ....أما الحقيقة الخامسة فهي " البرلمان والمبادئ الأساسية الخاصة بتبادل المشاورات " ، حيث لم تكن الدولة لتستطيع النهوض والإدارة والقيادة في هذا العصر المعقد إلا عن طريق برلمان دستوري ومن خلال التشاور وحريه الفكر [3] .

وفقًا للنورسي فإن القصص القرآنية للفرعون ذات صلة بالجميع، لأن لدينا جميعًا فرعوننا الداخلي ، وهو النفس (روح الحيوان) والأنانية (الذات الأنانية). علينا أن نعلن الجهاد مع فرعوننا الداخلي لننال حريتنا. لذلك، من الضروري أن تمر بألم معين للحصول على المتعة المطلقة. على سبيل المثال إذا كنا أصحاء وأثرياء، فقد لا ندرك طبيعتنا الضعيفة وقد تعتبر الذات الأنانية نفسها مكتفية ذاتيًا وأبدية. يمكننا الحصول على حريتنا إما من خلال التجارب المؤلمة المفروضة على الذات مثل الصيام أو من خلال الكوارث المفروضة مثل الأمراض. في الواقع عندما نمرض نشعر بالعجز والفقر. من المرجح أن تتخلى النفس والأنانية عن إدعاءاتهما بالرب [4] .

---

[1] p 149., Ipid)

[2]) إبراهيم سليم ابو حليوه : بديع الزمان النورسي وتحديات عصره ، ص ٣٢٨ .(

[3]) شكران واحده : الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان سعيد النورسي ، ص ٩٦ .(

[4] ( )Aydin, Necati. Said Nursi and Science in Islam: Character Building through Nursi's Mana-I Harfi. Routledge, 2019, p 153 .

ولكن ليس معنى هذا أن الإنسان مجبر ، ومجرد آله تحركها العوامل المحيطة به، بل هو خليفه الله في الأرض وهو ما عبر عنه بقولة : "لزم أن يكون الإنسان في حال كماله مسيرا بقوانين أخلاقه نحو خيره، فكما أن للطبيعة قوانينها ، فكذلك للإنسان قانونه "[١]

وحديث النورسي لم يختلف كثيرًا عن محمد عبده الذي أضفى الالتزام الأخلاقي على الحرية، وكذلك إقبال الذي رفض القول بالجبرية ورأى أن الإيمان بين الجبر والاختيار، والأفراد أحرار ولكن بنسب متفاوتة حسب استعداداتهم وفقا للطريق الذى تم اجتيازه لتنميه الذات المتمثل في طاعة الله والانقياد لأوامره وضبط النفس وقمع شهواتها ، وهي ليست حرية مطلقة ، وليست حرية مغالاة ولا مبالاة ، بل حرية لا تتعارض مع حقوق ومصالح الآخرين فهي حرية عقلاء لا جهلاء.

أما إقبال فقد قرن الحرية المطلقة بالرجل كامل التربية، القوى الذات، والجدير بخلافة الله في الأرض [٢].

٧- **النساء والشباب:**

لم يكن خطاب النورسي موجه إلى فئه دون غيرها بل إلى الأمة جمعاء ؛ فالإنسان هو الموجه إليه الخطاب القرآني؛ لذا وجه نصائحه إلى الرجال والشباب والنساء والشيوخ والأطفال ، حتى إنه قد وجهها إلى الأجيال المقبلة " يا إخوتي و يا زملائي الذين يسمعون هذا الكلام بعد خمسين عاما " [٣]

الأسرة هي النواه الأولى للمجتمع والركيزة الأساسية التي تمد المجتمع بالعناصر البشرية الصالحة لتحقيق أهدافه ، فاذا حكم الإيمان بالآخرة الأسرة ونور الإيمان أركانها ، فإن الفضائل تتكشف وتنبسط فيها ، وكل هذا ينعكس على المجتمع .و بناء أُسرة صالحة يقوم على عوامل عديده أهمها صلاح الزوجين ؛ لذا اهتم النورسي بالمرآه لأن مسئولية تربية الأولاد تقع على عاتق المرآة اكثر من الرجل ؛ بحكم انشغاله بالعمل وقضائه كثيرًا من الوقت خارج المنزل .

---

(١) زكى نجيب محمود : حياه الفكر في العالم الجديد ، مؤسسه هنداوي ،٢٠٢٠م ، ص ٤٣ .

(٢) نجيب الكيلاني : اقبال الشاعر الثائر ، ص ٧٨ .

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي :صيقل الاسلام ، ص ٥١٨.

ومن أهم القضايا التي تتعلق بالمرأة هي قضية الحجاب، وقد اهتم بها لأنه رأى أنها أَولىَ النقاط، ومدخل الغرب لنقد المرأة ، بدعوى أن في السفور والتحرر عصمة للمرأة من الكبت وارتكاب الآثام في الخفاء ، ولم يختلف النورسي ومحمد عبده وإقبال في رأيهم حول حجاب المرأة كما سوف أوضح.

ولقد كانت رساله الحجاب لدى النورسي عبارة عن رسالة يوجهها إلى الفتيات يدعوهن إلي صيانة أنفسهن من تلك الدعوات التي تقضي على عفتهن تحت ستار التقدم والتحضر، فقد اهتم بالمرأة ؛ لأنها سوف تكون في المستقبل النواة الأولى للمدرسة النورانية مع أطفالها ؛ لذا كان ينصحهن بأن يجعلن بيوتهن مدرسة نورية مصغرة ، كي يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان .

فكان يري أن المَدنية هي التي " أخرجت النساء من أوكارهن وبيوتهن ، ومزقت حجابهن ، وأدت بالبشرية أن يجن جنونها "[١]

ولقد فسر سبب الحجاب بأنه صيانة لحرمتهن وكرامتهن ؛ فهن مثل المعادن الثمينة التي يجب الحفاظ عليها لا استخدامها للمتعة، فالذي تعجبه الصورة الخارجية لن يلتفت إلى روحها الداخلية ورقتها ؛ لذلك حذر من حب الزوج لزوجته مرتبط بجمالها الظاهري ، بل أوثقها بالجمال الذى لا يزول ويزداد تألقا يوما بعد يوم، وهو جمال الأخلاق والسيرة الطيبة المنغرزه في أنوثتها ورقتها .

كما أنه يرى أن التكشف والتبرج يزيلان المحبة بين الزوج والزوجة ، ويسممان الحياة العائلية ؛ لأنه كان يرى أن مهمتها أن تحافظ على زوجها وأمواله وأولاده ،لذا تكون أهم خصالها الثقة والوفاء ، ولكنه كان يرى أن التبرج يزعزع الثقة ويفسد الوفاء ويجعل الزوج يعاني من آلام معنوية .

وعندما طلبت منه النساء في مدرسة الزهراء المعنوية إعطائهن درسًا وكان من قبل كتب رسالة " مرشد الشباب" وجد أنه من واجبه أفادتهن ببعض ما يلزمهن من أمور.

ويقدم نصيحة إلى النساء بالنزول إلى ميدان العمل وكسب نفقاتهن مثل نساء الغرب ؛ لأن هذا من وجهة نظره أولى من بخس أنفسكن بسبب هموم العيش بالرضوخ

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي :الكلمات ، ص ٤٧٦

لسيطرة زوج فاسد سيء الخلق متفرنج ، وإذا ما كان حظ إحداكن وقسمتها زوجًا لا يلائمها ؛ فلترض بقسمتها ولتقتنع فعسي الله أن يصلح زوجها برضاها وقناعتها ، وإلا فإنها ستراجع المحاكم لأجل الطلاق ، وهذا لا يليق بعزه الإسلام وشرف الأمة (١).

والحجاب لم ولن يكون عائقًا يحول بين المرأة والتعلم والارتقاء إلى أعلى الدرجات العلمية والمعرفية ، بل هو قلعتها المنيعة ودرعها الساتر وجواز مرورها وتجوالها في كل مكان مسلحة بالعفة والطهارة (٢).

كما أنه اهتم بالشباب ؛ لأنه من أخطر المراحل في حياة الإنسان ؛ بسبب ما يواجه فيها من مغريات وملذات وشهوات ، إذا انغمس فيها فقد إيمانه لكثرة المعاصي ؛ لذا يقدم نصيحة للشباب " لو صرفتم ربيع عمركم في عفة النفس وفي صون الشرف وفى طاعة ربكم بالتربية على الإسلام .....؛ سيكون لكم وسيلة للفوز بشباب دائم خالد في الجنة " (٣) .

وحينما طلب مجموعة من الشباب تنبيهات وإرشادات تقيهم من شرور تتطاير من فتوة الشباب ومن الأهواء ، كانت إجابته أن الشباب ذاهب لا محالة ، وعدم الالتزام بالحدود الشرعية ، سيجر عليكم في الدنيا وفى القبر والآخرة بلايا ومصائب وآلامًا تفوق كثيرا الملذات التي تشبه العسل المسموم التي أذاقكم إياها ؛ لذا " لو صرفتم ربيع عمركم في عفة النفس ، وفى صون الشرف وفى طاعة ربكم بتربيته على الإسلام ، فسيبقي ويدوم ذلك العهد معنى ، وسيكون لكم وسيلة للفوز بشباب دائم خالد في الجنة الخالدة " (٤) .

ومن أكثر الأمراض التي تفشت بين الشباب ، ودعا إلى ضرورة التخلص منها ، التقاعس عن العمل ، وقد شبهه بالموت " العطل هو عدم ضمن الوجود، أي موت ضمن حياه ، أما السعي حياة الوجود ويقظة الحياة" (٥)

---

(١) على القاضي : ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي ، ص ٧٠ .
(٢) ابراهيم سليم ابو حليوه : بديع الزمان النورسي وتحديات عصره ، ص ٢٧٥ .
(٣) بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق ، ص ١٧٤ .
(٤) بديع الزمان النورسي :الكلمات ، ص ١٦٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٧٧ .

الخاتمة:

والآن يمكننا حصر النتائج المترتبة علي التساؤلات الرئيسية في البحث والتي طرحناها في المقدمة سعياً للإجابة عن التساؤل المحوري :

١- عاش النورسي ظروف قاسية ، أبرزها سقوط الخلافة العثمانية ، وإعلان الجمهورية التركية ؛ فأخذ على عاتقه مقاومة الإلحاد ، والدعوة إلى الإيمان الحق لإصلاح المجتمع ، ولم يكن بعيدًا عن الحضارة الغربية رافضًا لها رفضا قطعيا؛ ورغم رفضة الصريح للعلمانية في أكثر من موضع ولكن بالنظر إلي المبادئ العشرة التي تقوم عليها العلمانية الأوربية والتي سبق و أشرت إليها نجد انه كان يطبقها في دعوته الإصلاحية :

أ – فقد أخذ من الحضارة الغربية كل ما يخدم البشرية ، وفى دفاعه عن القومية كان يحارب الفكر العنصري "المرض الأوربي " الذى صدَّرته أوروبا إلى العالم الإسلامي وكان يري أنه سم قاتل .

ب – فالعلمانية كانت تدعو للبحث الحر وهو ما دعا إلية النورسي فقد كان يدعو إلي فتح باب الاجتهاد وكان يستنكر التزمت إزاء بعض المسائل المعرفية ورأى أن هذا قد يكون سبب في زياده الفجوة بين الدين الإسلامي والأجانب لاعتقادهم بان الإسلام يتناقض مع حقائق العلم

جـ – رغم اعتماد علي القرآن الكريم في منهجه الإصلاحي إلا انه رأى أن الإسلام يغذى الروح ويحقق متطلبات الفكر والعقل والقلب ، وقد كان هذا سبب رفضة للطرق الصوفية في هذا العصر لأنها تعتمد التجربة الذاتية ولا تعتمد في إدراك الحقائق على البراهين المنطقية والحجج العقلية والأدلة العلمية التي هي صفه هذا العصر ، ورغم إيضاحه بأن القلب هو القائد لجميع أعضاء البدن بما فيها العقل إلا انه اقر ان العقل بصر القلب .

د – ظهرت عند النورسي محاولات الفصل بين الدين والسياسة وهي أحد مبادئ العلمانية.

هـ – لم يمنع عمل المرأة أو تعليمها كالجماعات المتطرفة ، ولكنه أكد علي دورها وضرورة التعليم وهي احد المبادئ التي تدعو لها العلمانية أيضاً.

و – من مبادئ العلمانية الأساسية التعليم لما له من دور رئيسي في بناء المجتمعات

وبالنظر إلي النورسي نجد أنه من أهم نقاط منهجه الاصلاحي الاهتمام بالعلوم الدينية والعلوم الحديثة بل كان يدعو أيضاً إلى الاتفاق والتكامل بين أهل المدرسة الدينية التي تدرس العلوم الشرعية والمدرسة الحديثة التي تدرس العلوم الكونية الحديثة ، ومن هنا كانت دعوته لإنشاء دار العلوم لتحقيق تلك الوسطية والتكاملية.

٢- بعد محاولة المقارنة بين أفكار النورسي ومحمد عبدة وإقبال اتضح لي أن طريق رواد الإصلاح ، خاصه الإصلاح الديني ، يكاد يكون نفس الطريق ؛ فقد تميزت أزمنتهم بحقبة من التغيرات السياسية والدينية ؛ لذا كان أغلبهم يقوم بكتابة المقالات السياسية ؛ لفتح عقول الأمة للحرية والإصلاح ، والمشاركة في أحزاب للتمرد على الأوضاع الراهنة ومواجهتها ، والمشاركة في الثورات الشعبية ، وربما نفس المصير في السجن والنفي .

٣- لم يكن النورسي رغم اعتزاله الناس والابتعاد عن السياسة صوفيا وقد أوضح ذلك في أكثر من موضع في مؤلفاته ، ولكنه مع ذلك كان منصفًا في إيضاح أنه طريق للاستقامة والتقرب من الله تعالى ، ولكنه مع ذلك حذر من السلبيات والانحرافات والأوهام التي ظهرت فيه ، والتي كانت بعيدة كل البعد عن كتاب الله وسنة رسوله ، وآرائه تقترب من أقوال إقبال ، خاصه في رفضهما لوحدة الوجود لدى الصوفية ، اما رأيه في الفلسفة فلم يتفق مع إقبال الذى كان صاحب فلسفه ذات خطوط رئيسيه تتمثل في التحرر والقوة والأمل ، والتي منبعها الشريعة ؛ فقد هاجم النورسي الفلسفة ، ولكن ليس بوجه عام ، بل التي تستند على الثقافة الغربية التي تهدم البشرية ، ولكن رغم اختلاف موقفهم من الفلسفة إلا أن قاعدة المنهج الإصلاحي لدى النورسي والفلسفة الإصلاحية لدى النورسي كانت واحدة ، وهي الشريعة المتمثلة في أحكام القرآن .

٤- رفض سعيد الجديد السياسة ورأى انه يستطيع عن طريق رسائل النور محاربة الاستبداد والطغيان والحرب الشرسة ضد الدين تحت مسمى التمدن ، لقد أراد إصلاح المجتمع والقضاء على الأعداء الثلاثة " الجهل ، الفقر ، الفرقة " وأسلحته في هذا الجهاد الفكري " الصناعة ، المعرفة ، الاتفاق " .حيث إن الجهل بأحكام الشريعة وما ترتب عليه من سوء الأخلاق وما أوصلنا إليه من فرقة لابد من مواجهته بالمعرفة بالدين الحق ، وموقفه هذا لم يختلف عن موقف محمد عبده الذى قرر بعد فترة عمله بها مع الأفغاني

إلى تطليقها على حد قوله ، وكان هذا الخلاف الوحيد بينه وبين الأفغاني ، بينما إقبال لم يكن له موقف صريح مع رجال السياسة في عصره كحال الآخرين واعتراضه على أحوال بلاده كان يظهر عنده من خلال محاضراته أو شعره .

المصادر والمراجع :

أولا:

- القرآن الكريم

ثانيا: المصادر

١- بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية ، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، طبعه أولى ، دار سوزلر للنشر ، استانبول ، تركيا ،٢٠١٠م .

٢- بديع الزمان سعيد النورسي : صيقل الإسلام ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ،شركة سوزلر للنشر ،الطبعة السادسة ، ٢٠١١م.

٣- بديع الزمان سعيد النورسي: الكلمات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة ، شركه سوزلر للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

٤- بديع الزمان سعيد النورسي: اللمعات ، ترجمة الملا محمد زاهد الملازكردي، الطبعة السادسة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

٥- بديع الزمان سعيد النورسي : مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٦- بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، طبعة سادسة ، دار سوزلر للنشر ، إستانبول ، تركيا ،٢٠١١م

٧- بديع الزمان سعيد النورسي : الملاحق في فقه دعوة النور ، ترجمه :إحسان قاسم الصالحي ،دار سوزلر للنشر ، الطبعة السادسة ، ٢٠١١ م .

٨- محمد إقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة محمد يوسف عدس، دار الكتاب اللبناني ، بيروت،٢٠١١ م

٩- محمد عبده : الإسلام بين العلم والمدنية ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة

، ب ت .
١٠-محمد عبده : رساله التوحيد ، تصدير / عاطف العراقي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،٢٠٠٠م

ثالثا : المراجع العربية

١- إبراهيم سليم أبو حليوة : بديع الزمان النورسي وتحديات عصره ، مركز الحضارة لتنميه الفكر الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ م.
٢- أديب الدباغ : مطارحات المعرفة الإيمانية عند النورسي ، مركز الكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧ م
٣- أنور الجندى : حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد ، دار القلم ، دمشق ، الطبعه الأولى ، ٢٠٠٠م .
٤- اورخان محمد علي : سعيد النورسي رجل القدر في حياة الامة ، نشر إصدارات مختارة للأسرة العربية ، أسطنبول ،الطبعة الاولى ، ٢٠١٩م .
٥- اليف الدين الترابي : أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته ،دار القلم ، الكويت، الطبعة الأولي ، ١٩٨٧م.
٦- جمال الدين فالح الكيلاني : بديع الزمان سعيد النورسي " قراءة جديدة في فكره المستنير " ، دار الزنبقة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٤ .
٧- حافظ عثمان : الإسلام والصراعات الدينية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢ م.
٨- حورية توفيق مجاهد : الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده ، مكتبة ٤٨٥ ، الطبعة السابعة ، ٢٠١٩ م.
٩- زكى نجيب محمود : حياة الفكر في العالم الجديد ، مؤسسه هنداوي ،٢٠٢٠م
١٠-سمير محمد رجب : الفكر الأدبي والديني عند النورسي ، الطبعة الثانية ، سوزلر ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
١١-سمير عبد الحميد ابراهيم : إقبال والعرب ، مكتبه دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ .

١٢-سيد عبد الماجد الغوري : محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ م .

١٣-شكران واحدة : الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان النورسي ، ترجمة : محمد فاضل ،٢٠٠٧ م .

١٤-طاهر الطناحي : مذكرات الإمام محمد عبده ، دار الهلال ، ب ت .

١٥- عبد الوهاب عزام : الأسرار والرموز ، القاهرة ، ١٩٥٥ م.

١٦- عبد الوهاب عزام : محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، مؤسسة هنداوي ،٢٠١٤ م .

١٧- عشراتي سليمان : النورسي في رحاب القرآن وجهاده المعنوي في ثنايا رحله العمر،سوزلر للنشر، ١٩٩٩م

١٨- على القاضي : ماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي ، دار الهداية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م .

١٩-محسن عبد الحميد : النورسي متكلم العصر الحديث ، بغداد ، ١٩٩٤ م .

٢٠-محمد عمارة : أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية ، دار السلام للطباعة والنشر، ب ت .

٢١-محمد عمارة ، الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين ، دار الشروق ،القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ م

٢٢-محمد عماره : المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده ، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٥م

٢٣-نجيب الكيلاني : إقبال الشاعر الثائر ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ب ت .

<u>المراجع الأجنبية :</u>

1- Ansari, Mahsheed. Modern Debates on Prophecy and Prophethood in Islam: Muhammad Iqbal and Said Nursi. Taylor & Francis, 2023.

2-Aydin, Necati. Said Nursi and Science in Islam: Character

Building through Nursi’s Mana-I Harfi. Routledge, 2019.
3-Markham, Ian S., and Suendam Birinci Pirim. An Introduction to Said Nursi: Life, Thought, and Writings. Routledge, 2016.
4-Ozkan, Tubanur Yesilhark. A Muslim response to evil: Said Nursi on the theodicy. Routledge, 2016